الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العملي

المركز الجامعي . ميلة

معهد الآداب واللغات

ميدان الفنون والآداب واللغـــات

عنوان المذكرة:

مظاهر التجديد في شعر أبي القاسم الشابي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد

شعبة الأدبيات

إعداد الطالبتين:

- لبنى كبيش
- هجيرة زغمار

إشراف الأستاذ :

سليم بوعجاجة

السنة الجامعية

2011 / 2010

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي ـ ميلة

معهد الآداب و اللغات

ميدان الفنون و الآداب و اللغـــــات

عنوان المذكرة

مظاهر التجديد في شعر أبي القاسم الشابي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد

شعبة الأدبيات

من إعداد الطالبتين :

- لبنى كبيش
- هجيرة زغمار

إشراف الأستاذ:

سليم بوعجاجة

السنة الجامعية

2011 / 2010

شكر و تقدير

اعترافا بأولي الفضل علينا بعد فضل الله
سبحانه و تعالى
إلى من أعاننا على إنجاز هذه المذكرة
نتقدم بخالص شكرنا و امتناننا إلى الأستاذ
الفاضل **بوعجاجة سليم** الذي أشرف على
هذا البحث و في الواقع ماكان هذا البحث
أن يأخذ هذه الصورة ، لولا توجيهه لنا حيث لم
يبخل علينا بنصائحه التي أفادتنا طيلة بحثنا هذا
إلى كل أستاذ ساعدنا بـ معلومة ، كلمة
توجيه ،تشجيع.
إلى كل من أمد إلينا يد العون و ساهم معنا
و شجعنا و حفزنا على إنجاز هذا العمل
من قريب أو من بعيد نتقدم لهم
بخالص تشكراتنا .

إهداء

إلى من سهرت الليالي لأجلي أمي العزيزة

إلى من علمني دروب الحياة أبي الغالي

إلى أخي أمين

إلى جدي و جدتي حفظهما الله

إلى أعمامي و أولادهم

إلى البراعم : شروق ، سعاد ، روعة ، فراس ، مهدي

إلى عماتي و بناتهن

إلى خالي و زوجته و أولادهما : يونس ، صهيب ، إسحاق ، أيوب

إلى زوجة خالي رحمه الله و أبنائهم : حنينة ، تجوى ، رقية

علاء ، نافع ، ياسين

إلى صديقاتي : رقية ، هجيرة

إلى كل من كان طيب الخلق ، طيب النفس

أهدي هذا العمل المتواضع

لينى

إهداء
إلى من لهما الفضل الكبير على تربيتي و تعليمي " والدي الكريمين"
أطال الله في عمرهما
إلى إخوتي و أخواتي و زوجات إخوتي و جميع أقاربي
و كل من يحمل لقب "زغمار"
إلى كل من البراعم الصغار : وسام ، حسام ، محمد
سيرين ، إسراء حياهم الله و حفظهم
إلى كل زميلاتي و صديقاتي من قريب أو من بعيد
و خاصة " لبنى " التي كانت لي نعم الصديقة
و الأخت الوفية شاركتني في هذا العمل
إلى الأستاذ " الطاهر قبلة " فائق الاحترام و التقدير
إلى كل عمال المركز الجامعي بميلة من أساتذة و إداريين و موظفين
و أخص بالذكر موظفي المكتبة المركزية
إلى أستاذي المشرف" سليم بوعجاجة " الذي كان الموجه الأول
و المساعد الشخصي في كتابة هذا العمل و إنجازه

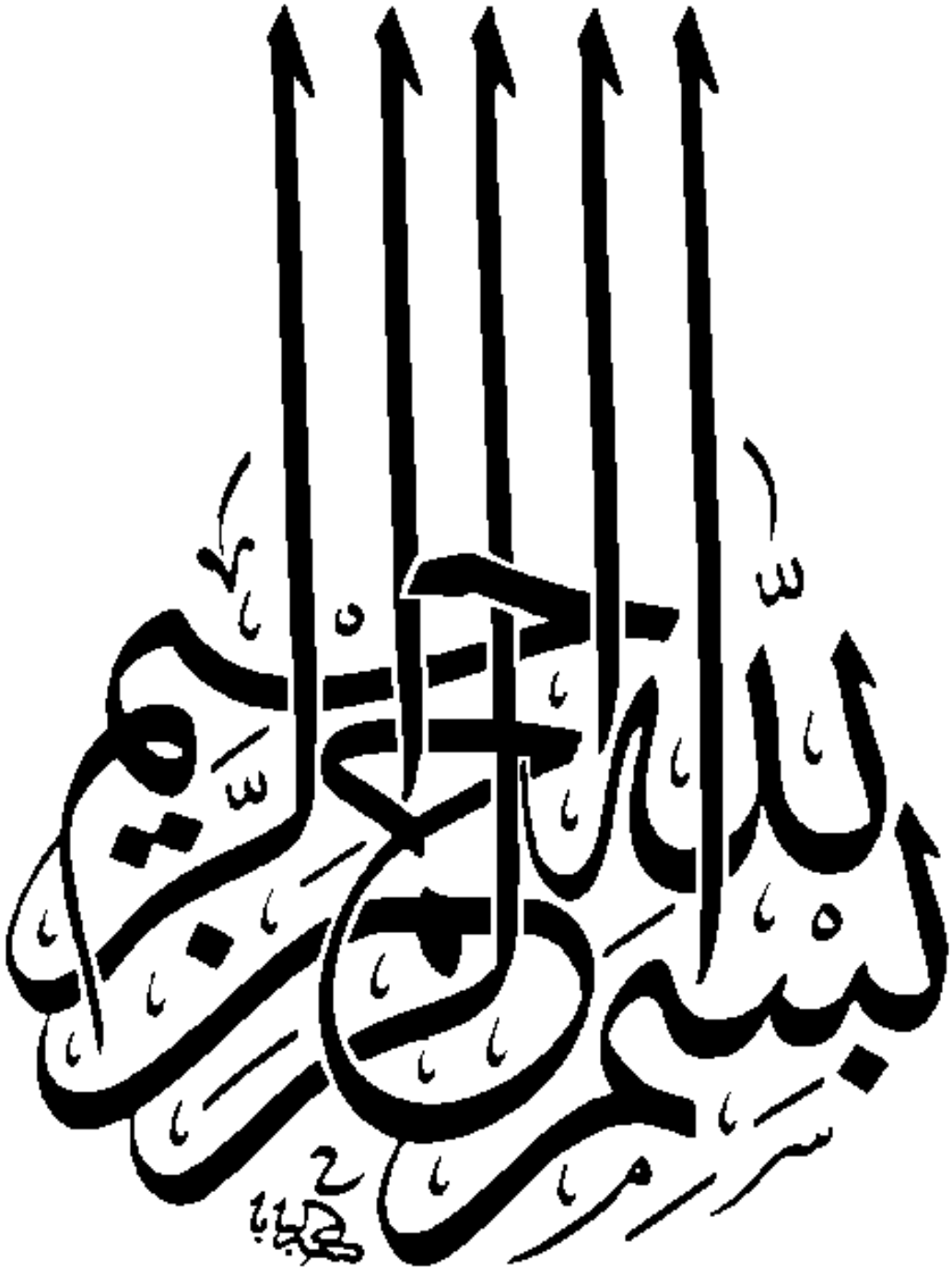
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :..... أ . ب
مدخل : 01

الفصل الأول : حياة الشاعر أبي القاسم الشابي 04-15
أولا . ملخص سيرة أبي القاسم الشابي..... 05
1. مولده و نشأتـه 05
2. دراسته و نشاطـــه الأدبـــــــي 05
3.ثقافتـــــــــه 07
4. شخصيتـــــــه 07
5. موت والـــــده..... 08
6. مرضـــــــــه 08
7. وفاتـــــــــه 09
ثانيا . العوامل التي أثرت في تكوينـــــه 10
ثالثا . شعر أبي القاسم الشابي 11
1. خصائص و مميزات شعره..... 11
2. مراحل شعـــره..... 12
ثالثا . آثاره و مؤلفاته 14
1. الخيال الشعري عند العرب..... 14
2. أغاني الحياة 14
3. في المقبـــــــرة 14
4. رسائل الشابي 15
5. يوميات الشابي 15
6. جميل بثينـــة..... 15
7. السكيـــــــر 15
8. الهجرة المحمدية..... 15
9. مقالات مختلفة..... 15

الفصل الثاني : ماهية التجديد..... 24-16
1. مفهـــــوم التجديـــــد..... 17
2. البواعث العامة للتجديد 20
3. نزعة التجديد في تونس 21

الفصل الثالث: مظاهر التجديد في شعر أبي القاسم الشابي 54-25
أولا. على مستوى الموضوع 26
1. التشاؤم 26
2. النزعة الإنسانية 28
3. تقديـــــس المرأة..... 31
4. تقديس الطبيعة 33
ثانيا. على مستوى الشكل..... 35
1. اللغة الشعريـــــة..... 35
2. الوحدة العضوية 37
3. الأسلـــــــــوب..... 38
4. الموسيقى الشعرية 41
5. الرمـــز و الصورة..... 47

يحفل شعرنا العربي الحديث و يزخر برواده و شعرائه الذين أفنوا أنفسهم في سبيل نهوضه ، نذكر أستاذ من أساتذته و أعمدته ، الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي ، أحد أقطاب الشعر العربي المعاصر ، هذا الشاعر الذي جدّد في الكلمة و المعنى و أعطاها لحنا و نغما جديدا ، حيث كان رومانسيا في عباراته و في خياله ،في اندماج روحه بالطبيعة و في تأمله للكون ، في هروبه إلى الغاب ، في تقديسه للمرأة ، في نزعته الإنسانية .

هو الشاعر الذي هتفت بذكره و تمجيده أقلام الكتاب ،و خيال الشعراء و رغم قصر حياته و موته المفاجئ في ريعان شبابه إلا أنه أعطى للشعر العربي مكانة مرموقة .

لذلك وددنا في هذا البحث أن نتطرق لدراسة هذه الشخصية الرومانسية التي دعت إلى شعر يتماشى و يتطور مع تطور الإنسان عبر مختلف العصور ، و لا يبقى مقيدا خاضعا لماضيه ، حيث ينبغي عليه أن يعيش لحظته الزمنية ويتفاعل معها .

وقد اخترنا البحث في موضوع التجديد عند الشابي رغبة منا في البحث في هذا الموضوع المغري ، على افتراض أن الشابي قد جدد في الشعر باعتبار زمانه والعصر الذي عاش فيه .

وتتمثل إشكالية البحث في السؤال التالي : إلى أي مدى كان الشابي مجددا في شعره قياسا مع من سبقه أو عاصره من الشعراء ؟

استنادا إلى ما تقدم ، فقد ضم البحث بعد التمهيد ثلاثة فصول، مهد لها بمدخل وانتهت بخاتمة اشتملت على نتائج البحث .

الفصل الأول وعرضنا فيه لحياة الشابي و عوامل تكوينه و خصائص و مراحل شعره .

أما في الفصل الثاني فقد ارتأينا أن نوضح مفهوم التجديد من الناحية اللغوية و الاصطلاحية ، و كذا البواعث العامة لتجديد ، ونزعة التجديد في تونس .

و في الفصل الثالث و الأخير تطرقنا إلى مظاهر التجديد عند الشابي على مستوى الموضوع و مستوى الشكل.

و قد اتبعنا للبحث في هذا الموضوع ا المنهج الوصفي التحليلي ، وحاولنا ان نقترب من عناصر التجديد التي طرأت على شعر الشابي ، اعتمادا على ديوان أغاني الحياة كمصدر ، إضافة إلى مراجع أخرى رأينا أنها ضرورية لرفد البحث في الموضوع ، منها : الشعر و الشعراء لمحمود الشيخ ، تاريخ عصور الأدب لأحمد فاضل ، دراسات في الشعر العربي المعاصر لشوقي ضيف .

و إذا كان لابد من صعوبات تواجه الباحث فهي صعوبة الإلمام بالمادة المعرفية لاتساعها و تشعبها في اتجاهات شتى .

و مع ذلك فحسبنا أن نكون قد وفقنا في بلورة المعالم الأساسية لهذا البحث و الحمد لله ربي العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و آله و صحبه أجمعين .

يعد أبو القاسم الشابي من أبرز الشعراء المعاصرين الذين نالوا حظا وافرا من المتابعات و الدراسات الثقافية و الأدبية ، من حيث كونه شاعرا مجددا استطاع أن يفر ض وجوده الشعري ، و أن يحضا بالاهتمام قطاعات واسعة لاسيما في محيطه المحلي الوطني على وجه الخصوص .

هذا الشاعر المحدث الذي ذاع صيته في أرجاء المعمورة في السنوات القليلة الماضية فقد نار شهرة واسعة هتفت بذكره و تمجيده أقلام الكتاب و النقاد و خيار الشعراء ، و كلما قرأنا قصيدة من قصائده رأينا فيها تلك الصورة المصغرة للمرة الألف العبقرية و النبوغ .

هذا الشاعر الرومانسي و ليست الرومانسية وفقا على عصر أو أمة أو مجتمع دون آخر ، و إنما هي تيار شعري و فكري يهدف إلى تحرير الأدب من سيطرة التيارات الأخرى ، حتى صارت نموذجا مقدسا لا يجوز لأحد الخروج عنه في ذلك الوقت .

و قد تجلت الرومانسية العربية في أبدع صورها و أجل مظاهرها و أقوى اندفاعاتها ، كمل تمثلت في سيرة أبي القاسم الشابي و شاعريته و حياته و أدبه .

يستمد الرومانسيون عادة، أذواقهم الشعرية من الطبيعة التي يتخذونها ملاذا و أنيسا ، و يجدون فيها متنفسا لهم فيها ، و كانت تلك الطبيعة مصدر إلهام الشابي ، فأبدع في وصف سحرها و جمالها إلى درجة التقديس .

و هو الذي رأى في المرأة براءة و عذوبة الأطفال ، فقال فيها أروع ما يمكن أن يقال، رأى في هذا العالم المضطرب صور الظلم و الاستبداد و فضائع الطغاة المستعمرين ، فصرخ صرخته الرافضة للاستعمار ، ما ينم عن نزعة إنسانية تنتصر للضعيف و تضرب على يد الظالم المستبد .

و على نحو ما جاءت قصائده لتعبر بأجمل لغة و أرقى أسلوب ، التكامل و الترابط بين أجزاء القصيدة و التنويع في القوافي ، و هو الداعي إلى التجديد و تحرير الشعر من قيود الماضي ، و الانطلاقة إلى آفاق جديدة .

فكان الشابي بهذا من الأوائل الذين حملوا مشعل التجديد ـــ و بعثوا روحا جديدة في القصيدة العربية رغم ما كان يحمله قلبه من أنات و أحزان ، تناغما مع نزعة التجديد التي ظهرت في الشعر العربي الحديث متمثلة في الثورة على كل أغراض الشعر القديم و الدعوة إلى إيجاد أدب جديد يتصل بالحياة و يعبر عن مشاكل المجتمع و مطامحه و هذا لا يتم إلا إذا كان الشعر تعبيرا صادقا عن النفس و عن المعاني الإنسانية عن طريق تصوير عواطفها و معاناتها .

أولا : ملخص سيرة أبي القاسم الشابي :

1. مولده و نشأته :

ولد أبو القاسم الشابي في " 24 فيفري 1909 قرب مدينة توزر بالجنوب التونسي في أسرة موسرة ،و قد زاول أبوه "محمد بن الشابي" دراسته بجامع الأزهر بالقاهرة، حيث كان تلميذا نابغا من تلامذة الشيخ "محمد عبده"، و عاد إلى تونس محرزا الإجازة المصرية، و حيث عين قاضيا أول مرة بسليانة في 22 مارس 1910 " [1] .

"كان الشابي حديث العهد في تلك الأثناء عندما انتقل برفقة والديه سنة 1920 إلى العاصمة التونسية"،[2] و مما يذكر "أنه لم يأت لزيارة بلدته إلا مرتين، الأولى كان عمره خمس سنوات قضى ثلاثة أشهر فيها، و الثانية أتى إليها زائرا، و من الجدير بالذكر أن جولة هذه الأسرة استغرقت 20 سنة في مدن تونسية مختلفة". [3]

و هكذا نشأ الشابي في كنف أسرة محافظة، لها مكانتها العلمية المرموقة، كما أن سلسلة تنقلاتها مكنته من الاحتكاك بمختلف العادات واللهجات بين أهل الشمال و الجنوب، وبين تلك البيئات و المدن التي تنقل إليها.

وقد أكسبه هذا الترحال خيالا متوثبا، وغذى ذاكرته بصور البيئة التونسية المتنافرة مثلما عمق تجربته الشعرية، فأخرجه من حدود البيئة الضيقة و منحه تجربة إنسانية شاملة.

2. دراسته و نشاطه الأدبي:

أ.دراســـه : تلقى الشابي دراسته على يد والده بالدرجة الأولى، حيث كان يأخذ على يد أبيه أصول اللغة و قواعد النحو و الصرف، كما تلقن الروح الصوفية في بلاد المغرب العربي عامة". [4]

(1) محمود الشيخ: الشعر و الشعراء، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان- الأردن، 2005،ص 15

(2) أحمد فاضل: تاريخ عصور الأدب، الموسوعات الأدبية، دار الفكر اللبناني، ص 570

(3) عبد المجيد الحر: أعلام الفكر العربي. أبو القاسم الشابي، دار الفكر العربي، بيروت، ص 55

(4) محمود موزاوي: أدباء، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر- ط 1 – 2001 ص 87

ما يبين أن أستاذ الشابي الأول كان أبوه، لكنه لم يكتف بما يقدمه له هذا الأخير، فنهج مسلكا آخر لمسيرته العلمية، حيث التحق بجامع الزيتونة و احتك بمشايخها و رجالها العلماء، و بهذا انتقل من أجواء بلاد الجريد بهدوئها و جمالها إلى فضاء المدينة بعمرانها و مدنيتها، "فأقام بها سبع سنوات يدرس و يطالع أمهات الكتب في الأدب و اللغة، و يحتك بالأوساط الثقافية، فنال قسطا من العلم و المعرفة، حصل بفضلهما على الإجازة النهائية للجامع". (1)

ويبدو بأن دراسة الشابي بجامع الزيتونة قد مكنته من الإطلاع على أمهات كتب الأدب العربي، و ساعدته على الاحتكاك بالأوساط الثقافية، و أصبح بهذا على قدر عال من المعرفة و هو في عامه الثامن عشر.

ب.نشاطه الأدبي :جمع الشابي ثقافة واسعة، عربية من جهة، وغربية من جهة أخرى عن طريق ما قرأه من ترجمات، و ما نقل عن الآداب الغربية، لذلك تفتحت قريحته الشعرية في سن مبكرة، و قد كانت قصيدة "يا حب" أول قصائده الشعرية، و قد خصصت له مساحة في جريدة النهضة كل يوم اثنين، و ظهر شعره مطبوعا ضمن كتاب "الأدب الأندلسي" في القرن 14 سنة 1927.

و في جانفي 1929 ألقى محاضرة مشهورة في قاعة الخلدونية بتونس عن "الخيال الشعري عند العرب" ، و قد عمل فيها على استعراض كل ما أنتجه العرب من الشعر من القرن الخامس إلى القرن العشرين.

كما كان "يساهم بشعره في تلك الفترة بمساندة حركات التجديد و بعث حركة المسلمين، و عمل على مناصرة حركة تحرير المرأة، كما تزعم حركة طلاب الزيتونة التي كانت تهدف إلى إصلاح مناهج التعليم و الإدارة في الكلية، و ترأس لجنتهم و قاد الإضرابات، كما يعود له الفضل الكبير في تأسيس جمعية الشبان المسلمين التي مازالت من أهم الجمعيات الشبابية التونسية في توفير برامج ثقافية و اجتماعية". (2)

(1) المرجع السابق ، ص 87

(2) أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته و شعره، دار مكتبة الحياة، بيروت. لبنان – ط 5 ، ص 41

و هذا يؤكد لنا بأن الشابي قد بدأ نشاطا أدبيا و اجتماعيا كبيرا بمحضراته القيمة و بمجهوداته الجبارة في سبيل التغيير، و بعث بروح جديد في الأدب و في الحياة ككل.

3. ثقافته:

كانت للشابي ثقافة عربية واسعة، فقد وجه عنايته إلى الدراسات الأدبية، فطالع و درس كل ما في وسعه و يمكن القول أنه اطلع على جميع أمهات الكتب في الأدب العربي، و قد طالع و درس من الأدباء العرب المحدثين أمثال: "طه حسين، العقاد، المازني"، ومن شعراء المهجر أمثال: "جبران خليل جبران" الذي كان معجب به وبشعره، و قد استوعب التيارات الفكرية التي و جدت لها صدى بالنشريات العربية الصادرة في ذلك الحين كالهلال و المقتطف و السياسة و البلاغ و غيرها، يضاف إلى هذا ثقافته الغربية، فقد قرأ روائع الأدب الغربي التي و جدها مترجمة ، من ضمنها مؤلفات "غوتيه" و"لا مارتين".

4. شخصيته:

قال محمد الأمين شقيق الشاعر في وصف شقيقه أنه كان "نحيف الجسم، مديد القامة، قوي البديهة، سريع الانفعال، حاد الذهن، تكفكف رقة طبعه من حرب عاطفية وحدة ذهنه"[1]

رآه أصدقاؤه "بشوشا كريما وديعا في سيرته، محبا لبلده، صادقا في وطنيته، يؤمن بأن الأديب مسؤول أمام الله و الوطن و الإنسانية بأداء رسالته السامية في الحياة "[2]

وكانت للشابي "نفس صقلها الألم و أغرقها في أعماقها، و وجهها شطر الصفاء الإنساني الواسع، فمالت إلى الغربة تطالع و تتأمل و تناجي الذات التونسية المتألمة، وراحت في نجواها تتبع منهجا فلسفيا خاصا، و ترى الوجود من خلال ذاتها في كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة، و إذا هناك رومنطقية بعيدة الأغوار، وإذ هنالك مع كل ذلك تشاؤم

(1) حنا الفاخوري:الموجزفي تاريخ الأدب العربي،المجلد الرابع، ص 700

(2)محمد موزاوي:أدباء ،ص 89

أنصب في نفس الشاعر ، وكيف لا يتشاءم من كانت قلبه كقلب الشابي يخفق بكل عاطفة و يحمل آلام بلاده فوق عالمه؟

كيف لا يتشاءم من يرى قومه في قيود المذلة و الجهل؟[1]

إن هذه الشخصية الفذة هي شخصية مجاهد في سبيل وطنه فقد كان محبا لبلاده ومتجاوبا مع مطامح شعبه من خلال آلامه كما انه كان صادقا في وطنيته ،مؤمنا برسالته،شديد التألم ،كثير التشاؤم لما كان يحمله قلبه من آلام بلاده وشعبه.

5. موت والده :

ولكن نشاط الشابي ـــ ويا للأسف ـــ لم يدم طويلا ، فقد تعرض إلى نكبة كبرى تمثلت في وفاة والده التي تركت أثرا عميقا في نفسه وفي حياته وفي شعره ، وكانت وفاته خسارة كبرى هزت أركان الشاعر وبدلت نظام حياته،بل كانت أكبر ألم يتعرض له الشاعر في حياته ، " و لا شك أن العبء الذي ألقي على كاهل الشابي بعدها قد أثر في نفسيته تأثيرا خطيرا ، لأنه أحس به قيدا يحرمه انطلاقه و يجذبه إلى الواقع الأليم " [2]

و بوفاة هذا السند المتين ، انقلبت حياة الشابي رأسا على عقب و تحولت التبعات التي كان يحملها أبوه إلى كاهله فأثقلته و قيدت انطلاقته .

6. مرضه :

هذه المتاعب الجمة و المسؤوليات العريضة التي نزلت عليه في غير حينها ، و لم يكن يتصورها من قبل ، و كان يظن بأن حياته الشعرية سوف تستمر على المنوال الذي أراده ، فإذا بها تتحول فجأة إلى ألم جارف و يأس عنيف و شقاء لا يطاق ، فإذا بهذا الألم الجارف و اليأس و تلك المسؤوليات ما لبثت أن فعلت في جسمه النحيف فعلها الخبيث، فأصيب " بداء تضخم القلب الذي عانى منه أشد أنواع المرارة و أقسى ضروب العذاب ، و عرض نفسه

(1) حنا الفاخوري:الموجز في تاريخ الأدب العربي ،ص70

(2) د.محمد مصطفى هدارة : بحوث في الأدب العربي الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت، 1994 ، ص 122

على كل طبيب أخصائي بتونس ، فكانوا جميعا متفقين على أمرين اثنين مع علاج مستديم بالأدوية: أولهما : أن يكف عن إرهاق نفسه بالكتابة و القراءة ثانيهما : أن يعيش في المناطق الجبلية و الطبيعية حيث الغابات و البساتين و الوديان و الأنهار

فمضى الشاعر يجوب صيفا و شتاء مناطق تونس الجميلة ذات المصايف الفاتنة ، فمن بلاد الجريد إلى زغوان و من عين دراهم إلى المشروحة ، و عاش ثلاث سنوات وحيدا بين أشجارها و أنهارها . [1]

7. وفاتـــه :

استمر الشابي يرهق نفسه عما نهاه الأطباء عنه ، فنال منه العذاب و الشقاء أكثر من أي وقت مضى فثار على الحياة و مل وجوده فيها ، فأمطر البشرية بعاصفة هوجاء من تبرمه و سخطه ، و أخد يناشد الموت أن يريحه من هذه الحياة . الممتلئة بالشقاء و العذاب و الأسى ، فجاء بقصائد معبرة عن ذلك مثل : " في ظل وادي الموت ، زوبعة الظلام ، الجنة الضائعة ، الأشواق التائهة ، أغاني التائه " و غيرها فعزف فيها أعذب الألحان و أمرها .

و لم يكن من شأن العذاب الذي كان يكابر أبي القاسم الشابي (مرضه) أن يفضي إلى غير الموت ، فاضطر إلى دخول المستشفى بعد أن انتقل في مختلف البلدان انتجاعا للعافية ، لكن ذلك بلا فائدة ، فقد داهمه الموت و فارق الحياة " يوم الثلاثاء التاسع من تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1934، و هو لم يكن عند موته قد بلغ السادسة و العشرين (26) عاما من عمره ، ثم نقل جثمانه إلى بلدة "توزر " حيث قبره " [2].

لقد عاش الشابي شابا و مات شابا رغم قصر الفترة التي عاشها ، مبدعا فقد ظفرت منه الحياة بثروة شعرية أصيلة تعد من أصدق الإضافات الجديدة القليلة إلى الشعر العربي الحديث التي أنتجها جيله و الجيل السابق له .

(1) أبو القاسم محمد كرو : الشابي حياته و شعره ، ص 42-43

(2) هاني الخيّر : أبو القاسم الشابي ، شاعر الحياة و الخلود ، موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث ، دار فليتس للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط1 ، ص 10

ثانيا :العوامل التي أثرت في تكوين أبي القاسم الشابي :

هناك العديد من العوامل التي ساهمت في تكوين شاعرنا العربي " أبا القاسم الشابي " نذكر منها :

تأثر الشابي بشعراء المهجر في أفكارهم السياسية و الاجتماعية ، و كان شديد الإعجاب "بجبران خليل جبران" و قد وجدت أفكار المهاجرين لدى الشابي صدى عميقا و مجالا واسعا لنموها نظرا لما فيها من سخرية و نقد لاذع للحياة الجامدة و حب الإنسانية المعذبة ، و ثورة ضد الظلم و الطغيان إلى النفس الجديدة التي وفرتها للحياة الأدبية العربية .

أما موقف الشابي من المرأة فقد تأثر بجملة من العوامل أهمها الحركة الفكرية و النشاط الأدبي الذي ازدهر في عهده داخل العالم الإسلامي ، و الذي مثله في تونس أحسن تمثيل الطاهر الحداد .

و في « تقديسه للمرأة تأثر الشابي بجبران و ربما كذلك " بإبن الفريد " الذي أعجب به كثيرا في حين أن تشاؤمه لا يكمن فقط في الرومنطيقية ، بل في تفاعل عدة عوامل شخصية و طابع روحه ذاتها بالإضافة إلى مطالعاته و من بينها "جوتيه " و بالتأكيد بعض الشعراء العرب المتشائمين الذين طغى عليهم طابع الحزن كأبي العلاء المعري و ابن الرومي » [1]

كما أن الشابي وُجِدَ في عصر مليء بالتيارات الفكرية الجديدة ، فعايش عالما يتطلع إلى النور و يؤمن بالحرية و يلتمس سبيله إلى الكرامة الإنسانية و العدالة الاجتماعية، ينادي بالمساواة بين الجنسين حين كانت في العقد الأول من هذا القرن تعج بالتيارات التحررية و الإصلاح الاجتماعي ، أما في المهجر فقد شدد شاعرنا بصيغة لم يسبقه لها مثيل و مظاهرها بعض المجلات الشهيرة و من أبرزها شعرا ، فكان من المؤكد أن يتأثر بهذا المناخ الفكري و الجو الشعري .

(1) محمود المسعدي : الحياة الثقافية ، وزارة الشؤون الثقافية ، القصبة ، تونس ، عدد 34، 1984، ص 123

كما تمثل الرومنطيقية « مصدر إلهام أفكار الشابي حول الشعر ، خاصة و أن الشعر في عصره قد فقد ركائزه الفنية بحكم استعماله لأغراض عملية و دعائية كالأشعار الوطنية و الاجتماعية و الأخلاقية و كمجرد تمارين أدبية يطغى عليها الطابع الكلاسيكي» (1)

يضاف إلى هذا عوامل أخرى منها :« احتكاكه بمحيط الجامعة و بالعاصمة و مطالعة الأدب الغربي المترجم كما أنه تأثر بأسلوب طه حسين و العقاد و تفكيرهما ، إضافة إلى وجود أحزاب سياسية و منظمات عالمية و اجتماعية ، و صحافة وطنية و عربية وافدة من المشرق» (2)

يمكن القول تأسيسا على ما سبق أن تكوين الشابي تضافرت فيه عوامل عديدة ، بدءا من الرومنطيقية التي كانت ملهمة لأفكاره و طروحاته ، كما أن استعداد للشعر كان قويا ، فدفعه ذلك إلى العناية بقراءة دواوين الشعر العربي القديم منها و الحديث ، و إطلاعه على جوانب من الثقافة الغربية من خلال الترجمات التي أتيحت له أن يقرأها و من خلال الكتاب و الشعراء العرب الذين كانوا يدعون دعوة العصرنة ، و يقودون حركة التجديد في الشعر نظريا و عمليا منهم :" العقاد ، و جبران خليل جبران ".

كما لا ننسى جانب مهم في تكوينه ألا و هو محيط الجامعة التي أكسبته خبرة عالية و علما واسعا ، باعتبارها الفضاء الذي يضم مختلف البيئات و الثقافات ، و لأنها تجمع بين مختلف الأجناس و الآداب.

ثالثا .شعر أبي القاسم الشابي :

1. **خصائص و مميزات شعره** : تميز شعر شاعرنا العربي أبا القاسم الشابي كغيره من الشعراء بخصائص و ميزات نذكر منها :

- دعوته إلى تحرير الأدب ، حيث كانت الفترة التي عاش فيها الشابي تسيطر عليها الأغلال السياسية و يسودها الجهل و التخلف ، مما دعا إلى تحرير الأدب من قيوده التقليدية ، فاتصلت دعوته الأدبية بدعوته إلى تحرير

(1) المرجع السابق ، ص 123

(2) أبو القاسم محمد كرو : الشابي حياته و شعره ، ص 97

الإنسان من الظلم السياسي و الاجتماعي الواقع به ، و من هنا كان لشعر الشابي وجهه الفكري و الفني ، كما كان له وجهه السياسي و الاجتماعي ، فلم تكن التجربة الذاتية التي عبر عنها هذا الشعر بمعزل عن الواقع الذي اختاره الشاعر و عاش في كنفه .

- كانت قصائد الشابي تدور حول موضوعات مختلفة ، و كلها من صميم تجاربه و خبراته ، فهو لم يكتب إلا ما كان يحس به في داخله ، فقد ظهر حبه العميق المفرط في عمقه على سطح كل بين شعري في كتبه و كل قصيد قالها .
- بروز الصبغة الإنسانية العالمية في شعره ، فهو (الشابي) و إن كان يرمي إلى إيقاظ شعبه (تونس) و إثارته لمقاومة الاستعمار و قوى الطغيان ، إلا أن أفكاره تتجاوب معها جميع العقول المحبة للحق و الحرية في هذا العالم ، لأنه يؤمن بالروح الفردية و الاجتماعية ، و يرى أنها موئل الجمال و مصدر القوة و قوام الحياة و هو لذلك لم يدخر جهدا في العمل على إيقاظ روح الشعوب من غفلتها و تحريرها من سيطرة الاستعمار عليها ، لنزعته الإنسانية .
- بروز ثقافته العربية و الإسلامية في أشعاره ، و قدرته على التعبير بلغة فصيحة و معان عميقة عمق الروح في النفس البشرية ، و قد تجلى ذلك في أعماله الأدبية و إبداعاته الفنية شعرا و نثرا .
- كما لا يمكننا أن ننسى أفكاره الشديدة الانسجام و الترتيب ، و الترابط المنطقي بين أبيات القصيدة .

2. **مراحل شعره** : يجمع أغلب النقاد و الباحثين على أن شعر الشابي قد مر بمراحل ثلاثة تجلت فيها نزعاته الكبرى و اختلاجاته النفسية و العاطفية . ، و هذه المراحل متداخلة فيما بينها تاريخيا و هي على الترتيب : « مرحلة الأدب الأندسي و المهجري ، مرحلة المواجهة مع الموت ، مرحلة المأساة و الفاجعة » [1]

(1) محمد بوزواوي : معجم الأدباء و العلماء المعاصرين ، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص345

- ففي المرحلة الأولى راح الشابي يجاري الأندلسيين بعد أن تفتحت قريحته الشعرية ، في طريقة نظمهم و زخرفتهم و تنميقهم للشعر ، و في أساليب تصورهم للحياة ـــ حتى أصبح شعره يمثل شعرهم ، ثم سلك الشابي مسلك المهجريين في الأدب ، و نهج منهجهم في النوعية ، و اطلع على آثارهم مقتفيا آثار "جبران " منهم ، حتى أقرت في نفسه ثورتهم الاجتماعية و تطلعاتهم المستقبلية ،« فترع نزعة رواقية صوفية ، و فتح نوافذ نفسه على الإنسانية المعذبة ، و راح يهاجم المجتمع المتحجر ، و يدعوا إلى التجديد في الحياة » [1]

كما تأثر كذلك بشعر الرومنطقيين الذين كان شعرهم حافلا بالذكريات و الألم و الحزن و الفرح غارقا في التألم و التأمل .

ففي هذه المرحلة من شعر الشابي نلمس « نفسا جياشة العواطف ، تحاول أن تجمع بين العصف الجبراني و اللين الرومنطيقي ، فتنطلق في معاني الكآبة والحزن انطلاقا لا حد له و تذهب في تفهم الحياة مذاهب مختلفة ، تختلج فيها الثورة و اليأس و الألم و الأمل» [2]

و في المرحلة الثانية ، و هي مرحلة وفاة والده ، إذ توفي والد الشاعر و كان بعد صغيرا ، كانت هذه الوفاة صدمة عنيفة هزت كيانه و شاعريته ، « فقد نظم في أواخر عام 1929 قصيدته الشهيرة " يا موت " و صدرها بقوله " هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان و الذكريات، و شظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة ، قلتها في أيام الأسى التي تلت نكبتي بوفاة الوالد رحمه الله » [3]

و منذ ذلك تغيرت حياة الشابي و أصبحت ثقيلة بأعباء عائلية كبيرة و بدأت نفسه تتألم و قلبه ينهشه المرض ، ووجد طريقا صعبا للعيش حول أجواء اليأس و الشقاء .

- أما المرحلة الثالثة و الأخيرة و هي فترة مرضه ، فقد اشتد ألمه الجسدي و تمكن الداء منه ، و بدأ يشعر بأن الموت قد اقترب منه ، فراح يتبرم بالحياة و يتسخط الوجود و يستغيث بالموت لعله يجد فيه راحة لشقائه

(1) المرجع السابق ، ص 345

(2) حنا الفاخوري : الجامع من تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث ، دار الجيل للطبع و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2005 ،ص 558

(3) محمد بوزواوي : معجم الأدباء و العلماء المعاصرين ، ص345

و يأسه ، « و شعره في هذه المرحلة هو شعر النضوج الصاخب ،و شعر الاندفاق الوجودي الذي يهز كيان الوجود » [1] ,

إذ يمكن القول بأن شعر الشابي قد مر بمراحل عبر حياته الأدبية ، فمن تأثره بالمهجريين و الرومنطيقيين ثم نكبته بوفاة والده المحبوب أعز الناس إليه ، إلى أن اشتد ألمه و إحساسه بنهايته للحياة و اقتراب الموت منه ، و كان في كل مرحلة من هذه المراحل ينظم شعرا إلى أن نضج و أصبح يهز كيان كل من قرأ بيتا من شعره .

رابعا .آثار و مؤلفات أبي القاسم الشابي :

بالرغم من العمر القصير لأبي القاسم الشابي إلا أنه ترك إنتاجا أدبيا متنوعا يتميز بالوفرة ، فهو لم يكن شاعرا فحسب ، بل أديبا جمع بين النثر و الشعر ، و من آثاره نذكر :

1. **الخيال الشعري عند العرب** : رغم أن الشابي كان عضوا فعالا في "النادي الأدبي" الذي أسسه هو و جماعة من الأدباء التونسيين تحت إشراف "جمعية قدماء الصادقية " و باسم هذا النادي ألقى الشاعر محاضرته القيمة في قاعة الخلدونية عن " الخيال الشعري عند العرب"

2. **أغاني الحياة** : اعتزم الشابي نشر شعره من سنة 1929 ، فعندما نشر كتابه " الخيال الشعري عند العرب " أعلن في صفحة غلافه الأخيرة عن قرب صدور ديوانه " أغاني الحياة " ،ولم يطبع الديوان إلا عام 1955، أي بعد واحد و عشرين سنة من وفاته.

3. **في المقبرة** : هي رواية توجد بين مخلفات الشابي عند شقيقه ، و قد تحدث عنها الأستاذ " زين العابدين السنونسي" قرأنا له فيه رواية حسنة بديعة ، ناهيك أنها من نوع الاعترافات يقص فيها على لسان بطلها حوادثه و تأثيراته النفسية و هو نوع عزيز حتى عند الأمم المختمرة في نفسها الروح الروائية .

(1) حنا الفاخوري : الجامع من تاريخ الأدب العربي ، ص 559

4. **رسائل الشابي** : هناك مجموعة كبيرة من الرسائل الأدبية القيمة تبادلها الشاعر مع كثير من أدباء مصر و تونس و سوريا ، منها رسائله حول القصة في الشعر العربي ، و قد راسل بها الشاعر الدكتور " علي النصر" بحلب و رسائل أخرى كاتب بها كلا من الدكتورين الشاعرين " ناجي و أحمد زكي أبو شادي "، و أخرى كاتب بها كلا من الشعراء" محمد الحليوي ، مصطفى خريف " (1)

5. **يوميات الشابي** : و هي مجموعة من المذكرات اليومية التي سجل فيها الشاعر آرائه و خواطره في الشؤون حياته المختلفة ، و في كل ما كان يتصل بهذه الحياة من آلام و أفراح .

6. **جميل بثينـــة** : و هي محاضرة كان ينوي إلقائها في النادي الأدبي ، غير أن المرض حال بينه و بين ما يريد و هي موجودة اليوم بين مخلفاته عند شقيقه .

7. **السكيـــــــر** : و هي مسرحية ذات فصلين من نوع الاعتراف ، و هي أصعب أنواع التأليف كما هو المعروف عند أدباء المسرح .

8. **الهجرة المحمدية** : هي محاضرة ألقاها الشاعر في نادي الطلاب بتوزر بمناسبة ذكرى الهجرة المحمدية سنة 1351 هـ.

9. **مقالات مختلفـة** : هي مجموعة كبيرة من المقالات و الدراسات المختلفة ، تناول فيها شؤون الأدب العربي قديمه و حديثه على السواء" (2)

إذن فأبو القاسم الشابي قد خلف إرثا شعريا و نثريا، تفخر به تونس و يفخر به الوطن العربي ككل.

(1) أبو القاسم محمد كرو : الشابي حياته و شعره ، ص 125

(2) المرجع نفسه : ص126-127

ماهية التجديد و عوامله :

1. مفهوم التجديد :

تعد الدعوة إلى التجديد ظاهرة تقاسمتها عصور عديد و بيئات مختلفة ، و لقد تعددت مفاهيم التجديد و تنوعت، فما الذي تعينه هذه الكلمة من الجانب اللغوي و الاصطلاحي؟

- **المفهوم اللغوي للتجديد:«** جدّد : أبدل جديدا بالقديم : "جدّد أثاث بيته" أدخل تقنيات وتحسينات جديدة ، و جدّد : "جدّد مؤسسة صناعية "صير جديدا ، " جدّد هواء غرفة " زاد لمعانا و إشراقا : " جدّد لونا " عاد إلى حالة طبيعية سابقة ، أعاد إلى الظهور ما كان قد زار ، أثار ما كان هامدا : " جدّد الألم " أعطى نشاطا جديدا ، أعاد إلى حالة فضلى " جدّد قواه " ، جدّد ذاكرته ، أتى بجديد أبدع : ابتكر " جدّد في الفن " جدّد الأدب ، أسقط موجبا واسعا عنه بموجب جديد.

تجديد : إدخال شيء جديد في شيء قائم " تجديد في الفن المسرحي" بعث روح جديدة ، تحويل إلى ما هو أفضل أو إصلاح جذري لما هو فاسد ، " كان ينتظر تجديدا في المجتمع ،خروج عن التقاليد، الإتيان بما ليس مألوف ، " أحَبَ التجديد " ابتكار ، إبتداع : إحداث شيء جديد " التجديد العملي ، التقني " اتفاق يسقط به موجب و يستعاض عنه بموجب جديد.

مجدّد : الذي يعيد تكوين جزء خارج عن التقليد و المألوف ، " سياسة مجدّدة ، " عقل مجدّد " " مجدّد جرئ" الذي يجدّد ، مصلح ، " مجدّد علم " . مجدّد : الذي أصلح بالتجديد .

تجدّد : صار جديدا ، تجدّدت الخلافات ، تكيف مع الأساليب الجديدة الحديثة ، صار جديدا حديثا بالعهد : " تجدّدت تقنيته " تغيرت تماما ، " لقد تجدّدوا و غيروا أذواقهم " ، انبعث بعد أن كان خامدا ضعيفا [1] » .

(1) صبحي حموي: المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت ، ط2، 2001 ، ص 182-183

وجاء معنى التجديد في قاموس "لسان العرب" بأنه « مشتق من كلمة "جدّ" و من ذلك جدّ الثوب و الشيء يجِّد بالكسر ، صار جديدا ، و هو نقيض الخلق ، و عليه وجه قول سيبويه : مُلحقة جديدة ، و أجدّ ثوبا و استجّده ، لبسه جديدا ، و هو من ذلك أي جدّد ، و أصل ذلك كله القطع فأما ما جاء منه في غير ما يقبل القطع فعلى المثل بذلك قولهم : جدّد الوضوء و العهد ، و كساء مجدّد فيه خطوط مختلفة، و يقال : كبر فلان ثم أصاب فرحة و سرورا ، فجدّ جدّه كأنه صار جديدا و قال : و العرب تقول ملأه جديدا ، جدّ حديثا أي قطع ، و يقال للرجل إذا لبس ثوبا جديدا : أبل و أجدّ ، و الجدّة مصدر الجديد ، و تجدّد الشيء صار جديدا ، و أجدّه و جدّده و استجدّه أي صيّره جديدا و الجديد ما لا عهد لك به . و يقال : رجل جديد ، إذا كان ذا حظ من الرزق » [1]

- **مفهوم التجديد اصطلاحا** : عندما نقول حديث أو جديد فهذا يدلنا بالتلازم على أن هناك قديم إذن هما مفهومان متقابلان في المعنى ، كما أنهما مرتبطان ارتباطا وثيقا بالواقع التاريخي لمرحلة محددة وجديد اليوم سيكون قديم الغد و هكذا، لذا سنتطرق إلى بعض المفاهيم حول ماهية و معنى التجديد .

التجديد « تجاوز القديم بعد دراسته و إقامة جدية يرتبط به ارتباطا وثيقا ، و ينهل من الثقافة الحديثة ، أو هو يعني التركيب الجديد لعناصر قديمة موجودة من ذي قبل و ذلك بتغيير الطُرُزْ و الأساليب القديمة ، و تحطيم الأطر أو القوالب الجاهزة المعدة من ذي قبل ، و هدم الموضوعات أو التقاليد الفنية الراسخة في التراث » [2] .

و معنى هذا أن التجديد لا يرتكز على تقليد القدماء ، كما لا يكمن في الإتيان بالشيء من العدم ، و إنما التحديث ببساطة هو إضافة الابتكار و الإبداع الحديث على الأصل القديم أو حالة من التغيير نحو الأفضل ، كما لا تكمن مهمة القديم في إيجاد الجديد فحسب ، بل إنه يساهم

(1) د.خالد رشيد القاضي : لسان العرب ، دار صبح للطباعة و النشر ، بيروت ، ط2، 2004 ، ص 185-186

(2) د . وئام كاظم سميسم : عبد اللطيف السحرتي ناقدا ، مجلة اللغة العربية و آدابها ، العدد 7، ص236

في زيادة عمقه ، فالأمة التي تزخر بتراث عميق ينشأ فيها شعراء كبار ، كما أن الجديد يعيد بعث الحياة في القديم ، إضافة إلى هذا « يمنحه القوة و الفعالية ، فالقديم وحده جمود و موت ، و الحديث وحده عجز و حرمان ، و ما الحياة النفسية الواعية إلا نتيجة التمازج و التفاعل بين القديم و الحديث » [1] .

و هذا يبين لنا بأن معنى التجديد في الشعر لم يكن تجاوزا للماضي أو التخلي عنه و الانطلاق من شيء معدوم ، بل التجديد هو الذي يكون منبثقا في الأصل على بصيرة ووحي القديم ، و هو الذي يعمد إلى هضم التراث و اكتشاف جوانبه ثم البدء بالتجديد من أبعد نقطة وصل إليها ذلك التراث ، فالتراث هو مجال التجديد و مادته الأولية و عليه نستطيع أن نميز بين نوعين من الشعراء :

- «شعراء يضيفون إلى تراث الأمة من معدن شعرها.
- و شعراء يتخطون التراث ، و يبدعون من نوع جديد غير أنواعه المتوارثة و أولئك هم المجدّدون بحق » [2]

لذا يمكننا القول بأن التجديد يبقى مجهول الماهية معلوم السمة و الأثر فكل ابتكار شعري سواء كان في النسق أو في الصورة ، أو في المفردة أو في العبارة ، أو في الشكل أو في المضمون أو في أي شيء آخر مادام أنه يتماشى مع أصول الذوق العام، و لا يخل بقوانين الشعر الضمنية ، و يتصف بترك الأثر الانفعالي لدى المتلقي ، شأنه في ذلك شأن كل إبداع يغمر المرء بالمتعة و الانبهار و البهجة فهو تحديث و تجديد.

(1) أنس داود : التجديد في شعر المهجر ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، ص 7

(2) المرجع نفسه ، ص 10

2. البواعث العامة على التجديد :

نستطيع أن نقول بأن هناك أسباب واضحة ساهمت في ظهور دعوة التجديد نذكر منها :

الشوق إلى الحرية و الولوج إلى عالم تسوده مبادئ العدل و المساواة ، و هذا المتنفس لم يجده الكتاب و الشعراء إلا في الرومانطيقية ، إضافة إلى قوة الاتصال بالثقافة الغربية و ذلك عن طريق البعثات إلى أوروبا من أجل التزود بالعلوم العصرية الجديدة في مختلف الميادين ، و نتج عن هذا التأثر ترجمات متعددة لدواوين شعراء غربيين و بعض المؤلفات في مختلف الآداب و العلوم ، و أن الرومانسية أثرت فيهم أشد التأثير ، و قد وصلوا في الأخير إلى نتيجة هي أن هناك أسرار في الطبيعة و مواضيع الجمال ، كما كان للترجمات الأدبية الجديدة دورها الفعال في إثراء هذا و المتمثلة في دعوات تجديدية و تجمعات أدبية لها أسس و أركان محددة . (1)

زد على ذلك دعوة الرابطة القلمية بالمهجر ، و هي أول مدرسة أدبية منظمة تترع إلى تكوين جماعة ذات طابع خاص في التفكير و التعبير ، و كان قطب هذه الدائرة "جبران خليل جبران " و هو الطائر المحكي فيها ، و قد مثل فيها " ميخائيل نعيمة " دور الناقد .

دون إغفال دافع تطلع الشعراء نحو الغرب و موازنة آدابه بآداب الشرق ، حيث انضم إليهم جل الشعراء الرومانسيون ، و الذين تبلور على أيديهم هذا المذهب ، وقد أحدث كل من " محمود طه و أبوالقاسم الشابي " دويا في الأقطار العربية .(2)

إضافة إلى ظروف و أوضاع العالم آنذاك ، من معاناة الجيل بعد الحرب العالمية الأولى ، فقد كان يعاني أثناء الحرب العالمية الأولى و في أعقابها ، حيث العذاب و الجمود و كبت الحريات و العواطف و القيود الرهيبة ، فانطوى الشاعر على ذاته و انسحب إلى دنيا الأحلام ، منقلبا بين اليأس و الأمل ، يعيش في غربة ، حوله الأشباح و الظلمة

(1) نسيب نشاوي : المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1984 ، ص 167 ، بتصرف.
(2) المرجع نفسه : ص 170 ، بتصرف .

حالما بالطفولة والطبيعة، منشدا أناشيده المليئة بالأنات و الحسرات و الدموع و الوعي بل و بمناداة الموت تخليصا من شقاء العيش. [1]

يمكن القول تأسيسا على ما سبق بأن التحولات الاجتماعية و الثقافية التي عرفتها المجتمعات العربية أسهمت في ظهور النزعات الفردية و انتشار الأفكار الغربية نتيجة اتساع فئة المثقفين ، و كانت غايتها الإستقلال و التحرر من السيطرة الأجنبية ، ما أثر بدوره على الشعر و الأدب بوصفهما معبران عن الحياة الإنسانية في جميع جوانبها .

3. نزعة التجديد في تونس :

كانت الفترة التي عاش فيها الشابي بالنسبة للحركة الفكرية في تونس فترة تطور و تجدّد ، و يسميها الأديب التونسي " محمد الفاضل بن عاشور " فترة حركات الشباب ، و يحددها بين عامين 1918-1939 إذ يقول :« إن ما يميز شعر هذه الفترة أن وثب الشباب ينازعون الكهول و الشيوخ قياد الشعر حتى امتلكوه ، فسلطوا بذلك على المناهج الشعرية روح التجديد ... فوصلوا تطور الشعر بتطور التفكير و تطور الأوضاع الاجتماعية» [2]، و بهذه الوثبة أصبح الشعر في مرحلة اختلفت تماما عما كان عليه الشعر الماضي،« إذا اتجه في استمداد معانيه إلى الطبيعة المطلقة و الإحساس الفطري ، و الشباب لم يكن وحده انبعاثا تجديدا في الشعر العربي بتونس ، و إنما كان واحدا من شعراء شباب اندفعوا في طريق التجديد يوحي من ثقافتهم الجديدة ، و بفعل عوامل التطور الفكري التي سبقت عصرهم بأجيال و من هذا الجيل من الشعراء بعد نقله بين القديم و الجديد من أمثال : الشاذلي خزندار ، الهادي المدني » [3]

معنى هذا أن الشابي ليس أول من حطم قيود الشعر القديمة في تونس ، إنما نزعته تعد نموذجا للمجددين في الفترة التي عاش فيها ، ففي ما تتمثل نزعة الشابي؟

هاجم الشابي الشعراء التونسيين لأنهم عاشوا على هامش الحياة ، و لا يتأملون الكون من حولهم ، و لا يصغون إلى صوت شعبهم و أمتهم .

---

(1) المرجع السابق ، ص 171

(2) د. مصطفى هدارة : بحوث في الأدب العربي الحديث، ص 123

(3) المرجع نفسه ، ص123

فالتجديد الذي قصده الشابي إذن يرمي إلى خلق رابط بين الشعر و الحياة ، و جعله وسيلة معبرة عن الحياة و المجتمع الذي يعيش فيه ، و السؤال الذي يطرح نفسه : هل كان المجددون من أمثال الشابي أصحاب منهج محدد و نزعة مقررة في تناول الشعر ؟ ، يجيب على ذلك الأديب التونسي " محمد الحليوي" فيقول إنهم ما يزالون « يتلمسون طريقهم بين الشك و الحيرة في وسط هاته الأصوات المترفعة في كل مكان ، منادية بتجديد الشعر حتى يظل مسامتا لجديد الحياة ، فهم في طريقهم نحو التكامل و القرار تحيط بهم عوامل التقليد للآداب الغربية ، و تثقل كواهلهم منتجات أربعة عشر قرنا من الأدب العربي » (1)

و لهذا يمكننا القول بأن الشعراء التونسيين المعاصرين لأبي القاسم الشابي لم يتخذوا لأنفسهم منهج معين في تناول الشعر ، إذ كانوا تائهين وسط تيارين : تيار القديم من جهة ، و تيار التجديد من جهة أخرى ، في حين لاحظ الأستاذ البشير العريبي أن نزعة الشابي في قصائده غربية ، متأثرا كل التأثير بما عرف من آداب الغرب لعهده ، ميالة إلى إيثار الأخيلة الشرقية ، و تتضح هذه النزعة الغربية في كتابه الوحيد الذي طبع في حياته (الخيال الشعري عند العرب) ، و قد بدا فيه مبهورا بالآداب الأوربية بصفة عامة .

و الحقيقة التي نخلص إليها هي أن نزعة الشابي تعد انعكاسا قويا لرغبته في التجديد و الخروج عن القديم .

و إذا أردنا شرحا مبسطا لهذه النزعة التجديدية فإن مؤداها ما عبّر عنه التليسي « فهي اتجاه نحو الغرب و التزود بما لديه من معرفة و اتخاذها أداة للمشاركة الصحيحة في الحضارة الإنسانية » (2)

و قد تزعم هذا الاتجاه جماعة من المثقفين الذين اتصلوا بالحضارة الغربية الأوربية ، و كانوا مؤمنين بأن لا سبيل إلى بعث الشعر العربي إلا بخلق الشعر الحي الذي يعبر عن روح العصر مصورا الحياة الحديثة و ما يجري في آفاقها من معاني جديدة ، و كانوا يرون أن للشعر قيمة إنسانية ، و هم « يلتقون في ذلك مع أدباء المهجر الذين كانوا يدعون إلى أن يتجه الأدب إلى مخاطبة الإنسان ، فلا يشغله عنه شاغر من الحوادث التافهة ، و كانوا ينادون بوحدة القصيدة

(1) المرجع السابق ، ص124

(2) خليفة محمد التليسي : الشابي و جبران، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 1974، ص 11-12

ووحدة موضوعها ، و يلحون على التحرر من الصياغة التقليدية السائدة ، و العمل على خلق صياغة جديدة تزيد من ثروة اللغة ، و يسعون إلى التخلص في الشعر من الطبقات التي كان يعيش عليها و يتغنى بأمجادها » [1]

و لم يكن الشابي بمنأى عن هذه الدعوة ، فأوضح أفكاره و آرائه بجرأة نادرة و حماس شديد في كتاب الخيال الشعري عند العرب.

إن أول دعوة صريحة ثائرة على القديم لدى الشابي نجدها في قوله : لقد« أصبحنا نتطلب حياة قوية مشرقة ملؤها العزم و الشباب ، و من يتطلب الحياة فليعبد غده الذي في قلب الحياة ـــ أما من يعبد أمسه و ينسى غده فهو من أبناء الموت و القبور الساخرة » [2]

و هي صراحة منبعثة من أعماق نفسه ، و لم تكن لترضي الساذجين الذين ألغوا السكون و استسلموا للنوم الأبدي ، و ارتاحت نفوسهم إلى ضروب من الجمود و العبودية ، فرمى الشابي إلى الثورة على المقاييس الشائعة و الطرائق السائدة . و كان ثائرا على السخافة المتحكمة في العقول المنحطة التقاليد الجامدة ، المقاييس التي أضحت متحجرة ، رافضا التعريف الذي يجعل الشاعر مقيدا بماضيه خاضعا له ، إذ كان يرى أن الشاعرية الحقة تتوقف على أولئك الشعراء العالميين الذين يتطلعون إلى حاضرهم و مستقبلهم ، فكان مجددا ، جريئا ، و بناءا قديرا يملك سلاح التجديد و ينسى لنفسه و لأمته حياة جديدة ، و مجدا يبقى خالدا ، يعيش في حاضره و لغده لا في ماضيه أو أمسه و بالتالي فالإعجاب بالأدب العربي القديم ينبغي أن لا يحونا إلى مقدسين له .

لذا ألقى الشابي محاضرة في النادي الأدبي بتونس دعا فيها إلى أدب جديد يجيش بما في أعماق الأديب من حياة و شعور ، و عرف الشعر بأنه : « الذي يجعل الإنسان يعيش في دنيا جميلة لا عبودية فيها و لا ظلم ، دنيا لا يعرف الهم

(1) عمر فروخ : الشابي شاعر الحب و الحياة ، منشورات دار العلم للملايين ، مطبعة العلوم ، لبنان ، ط3 1984 ، ص 204

(2) أبو القاسم محمد كرو : الشابي حياته و شعره ، ص 82

و الدس و الخيانة و لا الشقاء إليها سبيلا ، دنيا ليست كدنيا ، و إنما هي جثة واسعة لا حد لها ، جنة تمتد إلى مدى البصر ، هذه الجنة التي يمني الإنسان بها نفسه طيلة حياته نراها عند قراءة قصيدة من الشعر [1]»

و يبدو من نظرة الشابي للشعر بأن الحياة هي الشعر ، و الشعر هو الحياة نفسها .

يضيف الشابي : « الشعر سيل جارف و حنين إلى أرض لم نعرفها ، و هو انجذاب نحو الكون بأسره ، و الكلمة الشعرية هي الأداة الوحيدة القادرة على توعية الشعب ، و هذه الكلمة التي تجعل الإنسان مدركا لمعنى الحياة الحقيقية و القصيدة الشعرية لها قوة تستطيع من خلالها السيطرة على قلب القارئ و تسمو به إلى عالم أسمى و أرقى من عالمه الدنيوي » [2]

إذن فالشابي يرقى بالشعر إلى عالم آخر غير عالم الواقع كما أن كلمة الشعر غير باقي الكلمات لما لها من تأثير على الفرد خاصة و المجتمع عامة ، إذ تجعله واعيا مدركا لمعنى الحياة الحقيقية .

(1) علاوة وهبي : التجريب في القصيدة العربية ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة ، الجزائر ، ط1 ، 1984 ، ص 24-25

(2) الهاني الخير : أبو القاسم الشابي ، شاعر الحياة و الخلود ، ص 25-26

أولا. على مستوى الموضوع

1. التشـــاؤم :

كان في شعر الشابي أصداء بعيدة لشعر الرومنطقية الأوروبية الحافل بالقلق و الألم و الذكريات ، المتدفق حزنا ، كما أنه حامل لمنحى متطير يميل إلى رؤية سوداوية للكون.

لقد نظر «الشابي إلى الوجود نظرة تشاؤم ، و الدنيا في نظره صراع بين الحياة و القوة ، و الأرض في نظره عامرة بالألم و الشر ، و الدهر في نظره عدو الأحرار و كبار النفوس ، إنه ظلوم متعصب ، خداع لا يؤمن جانبه» [1] إذ نجده يقول في قصيدة "عرفة من يتم "

فالدهر منتعل بالنار ، ملتحـــف بالهـول والويـل والأيـام تشتعـل
و الأرض داميـة ، بالإثـم طاميـــة و مارد الشـــر في أرجائهـا تمـــل [2]

فالمتأمل في هذه الأبيات يرى عمق تألمه و تشاؤمه من الدهر ، فهو يراه مجرد ويل و أهوال ، كما أنه يتخذ مختلف الأشكال ، و في النهاية يبقى في نظره عدوا. كما نجد قصائد كثيرة يغلب عليها طابع التشاؤم مثل قصيدة " أغنية الأحزان " التي يقول فيها

حطمت كف الأسى قيتارتـي
في يد الأحـلام
فقضت صمتا أناشيد الغـرام

إلى أن يقول :

تلاشـــت في سكـــون الاكتئـــاب
كصـــــدى الغريـــــد
كفـــى تلك الأغانـــي الباسمـــــة

(1) حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، أدب حديث ، ص 60

(2) أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة، قدم و شرحه الأستاذ أحمد بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 4، ص 121

أيهـــــــا العصفـــــور[1]

فنحن عند قراءتنا لهذه القصيدة يتراءى لنا مقدار الألم و التشاؤم الذي طغى على صدر الشابي ، فعندما تحطمت قيتارته ، حطمتها يد الأسى ، أصبح يتطلع إلى الحياة كشمس تغرب تحت عينه ، و حتى العصفور أضحى لا يبعث في نفسه إلا ذكرى تعيسة ، فحياته أصبحت ظلاما لا تعرف النور.

و نجده في قصيدة " مأتم القلب " يبكي و يرسل الدمع و هو يراقب آماله في الحياة و أحلامه ، فيراها تتساقط مثلما تتساقط أوراق الخريف .

في الديجـــــي
كم أناجـــــي
مسمع القبر نغما ت نجي و شجوني
مات حبـــــي
مات قلبـــــي
فاذرفي يا مقلة الليل الدراري عبرات
فوق قلبي فهو قد ود ع أوجاع الحيـــاة
بعد أن ذاق اللهيب[2]

ففي هذه الأبيات إشارة إلى موت حبه للحياة ، فقد قطع الأمل و الرجاء منها و فيها ، يقول في قصيدة "في ظل وادي الموت " :

و تغشـــى الضبـــاب نفســـي فصاحـــت في هـــلال مـــر إلى أيـــن يمشـــي
قلـــت يســـري مـــع الحيـــاة فقالت ماجنينـــــا تـــرى مـــن السيـــر أمس
فهافـــت كالهشيـــــــم علـــى الأرض و ناديـــــت أيـــــن قلـــب رفشـــي[1]

(1) المصدر السابق ، ص 45
(2) المصدر نفسه ، ص 77

فالشيء الواضح في هذه الأبيات أن الشابي قد سئم الحياة و مل منها فهو لا يرى فيها إلا الجانب المظلم و أنه مهما سار معها فإنها لا تحقق له ما يتمناه، لهذا أصبح كورقة ذابلة تتهيأ للسقوط ، و كأنما هو يريد الخلاص من هذه الحياة و بمرور الزمن احتد تشاؤمه نتيجة تطلعه إلى الحقيقة العليا و الإلهية ، و سبب الوجود و مصير الإنسانية و آلامها و أفراحها ، يقول في قصيدة " الدموع" :

كلمـــا أســـأل الحيـــاة عن الحقـــا ئـــق ، تكـــف الحيـــاة عن كل همس
لم أجـــد في الحيـــاة نغمـــا بديعـــا يستبينـــي ســـوى سكينـــة نفســـي
فسئمـــت الحيـــاة إلا غـــــــرارا تتلاشـــــى بـــه أناشيـــد بؤســـي (2)

فأضحى يرى أن الدنيا مجرد شقاء و لا ضرورة إلى التعلق بها ، يقول في قصيدته " السآمة " :

سئمت الحيـــاة و مـــا في الحيـــاة و لما تجـــاوزت فجـــر الشبـــاب
سئمـــت الليالـــي و أوجاعهـــا و ما شعشعـــت من رحيق يصـــاب
فحطمـــت كأســـي و ألقيتهـــا بوادر الأســـى و جحيـــم العـــذاب (3)

و خلاصة القول أن الشابي شاعر قست عليه الحياة ، فقنط منها و ملّها و أضحى لا يرى فيها إلى الجانب المظلم الذي طغى على صدره و جعله يرى الدنيا قتامة و سوداوية ، حيث لا يرى الجانب المشرق فيها .

2. النزعة الإنسانية :

إن إحساس الشابي بالألم لم يتوقف عند نفسه ،بل تعداها إلى أمته ، فقد رآها ترزح تحت كابوس الاستعمار الفرنسي الذي أذل شعبها و حوّل حياتها جحيما لا يطاق ، و كان « الشعب التونسي في مجموعه كالنائم ، لم يستيقظ ؟ منه إلا الأقلون عددا ، ثاروا لأمتهم و ثار معهم الشابي ثورة تغلغل في أعماقه ، أحس إحساسا دقيقا بعلة أمته ، فهبّ الشابي في وجه المستعمر» (4)

(1) المصدر السابق ، ص 174
(2) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 77
(3) المصدر نفسه ، ص 27
(4) د. شوقي ضيف دراسات في الشعر العربي المعاصر ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، مصر ، ط6 ، 1959، ص 150

إذن فالشابي أحس بعمق لألم و معاناة شعبه و أمته ، و عبر برفضه الواضح و الصريح لهذا البطش و الظلم فجعل من شعره وسيلة لمواجهة الطغيان ، إذ نجده يقول في قصيدة " إلى طغاة العالم "

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الفناء عدو الحياة
سخرت بأنّات شعب ضعيف و كفك مخضوبة من دماه

إلى أن يقول :

رويدك لا يخدعنك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الأفق الرحب هول الظلام وقصف الرعود و عصف الرياح
و لا تهزأن بنوح الضعيف فمن يبذر الشوك يجني الجراح (1)

فالشابي في هذه الأبيات يسجل على عدو شعبه ظلمه و استبداده ، و يحذره من انخداعه بما يرى من الصحو و نور الربيع ، لأنه في يوم ما سيستفيق هذا الشعب ، و سيجد الاستعمار نفسه أمامه رياح عاتية تعصف به و تجرفه مثل أمواج الدماء .

و نجده في قصيدة " زئير العاصفة " يزأر في وجه الغاصب إذ يقول :

ألا أيها الظلم المصعر خده رويدك إن الدهر يبنى و يهدم
أغرك أن الشعب مغض على قدى لك الويل من يوم به الشر قشعم
سيئأر للعز المحطم تلجه رجل إذا جاش الردى فهُمْ هَمُ (2)

ففي هذه الأبيات نجد أن الشابي ينطق بلسان شعبه و أمته ، و أنها لا بد يوما أن تثأر لكرامتها و حريتها المسلوبة .

وكان الشابي من أصدق الناس عاطفة ، و من أخلصهم شعورا بالمسؤولية تجاه وطنه و شعبه ، فقد وعي أن بيئته مريضة يسيطر عليه الجهل و الفقر ،« فراح يعمل على إيقاظ الضمائر بالمحاضرات ، و تأسيس النوادي ، و نشر الكلمة

(1) أبو القاسم الشابي ، الديوان ، ص 16
(2) المصدر نفسه ، ص 135

المسؤولة ، إنه لم يكن رجل دين ولا رجل سياسة ليقلب الدنيا التونسية . بل كان رجل العقل الذي يبصر الحقيقة و رجل الأعصاب الثائرة الذي يثور للكرامة ، و رجل الشعر الذي يذيب نفسه أبياتا أو أوزانا ليبث الناس ما فيها من حرارة الحياة، و صدق ووجدان و تطلع و عنفوان ، أدرك أن نهضة الشعب لا تقوم إلا على الوعي و الخروج من ظلمة الجهل ، فراح يطلق صوته و يبين أن الحياة الحرة و الكريمة حق لكل إنسان » [1]

و من هذا المنطلق راح يدعو شعبه إلى النهوض و الدفاع عن نفسه من أجل استرجاع حريته ، و أروع ما يصور ذلك قصيدة " إرادة الحياة "

دمدمت الريح بين الفجاج و فوق الجبال و تحت الشجر
إذا ما طمحت إلى غاية لبست المنى و خلعت الحذر

إلى أن يقول :

أبارك في الناس أهل الطموح و من يستلذ ركوب الخطر
لُعِنَ من لا يماشي الزمان و يقنع بالعيش عيش الحجر [2]

فالمتأمل لهذه الأبيات يجد أن الشابي يحاول أن يبعث أمته لعلها تحيا من جديد و يحيا معها الأمل الميت ، و راح يدفعها لعلها تثور ثورة فيها جرأة حتى تفتدي نفسها و تثأر لعزتها ، إضافة إلى عتابه لقومه و دعوتهم للنهوض و الحراك و نجد هذا في قصيدته "إلى الشعب " :

يا شعب قلبك الخافق الحساس أين الطموح و الأحلام ؟
يا شعب روحك الفنان أين الخيال و الإلهام ؟
إلهي ! ما تحس ؟ ما تشدو؟ أما تشتكي ؟ أما تتكلم ؟
أنت لا شيء في الوجود فغادره إلى الموت فهو عنك غني [3]

(1) حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 560
(2) أبوالقاسم الشابي : الديوان ، ص 70
(3) المصدر نفسه ، ص 130

و أيا كان الأمر فإن أبا القاسم الشابي قد واجه الاستعمار بكلمته ، وعمل على إيقاظ المجتمع التونسي في سكونه و تحجره ، و شعره الثوري ملتزم بقضايا الوطن ، و ذلك من خلال الجملة الشاعرية المستمدة من وجدان الشاعر ، و من إحساسه بضرورة إيقاظ شعبه بصفته شاعرا مكلفا برسالة سامية ، و ما نلاحظه في أبيات القصائد إلى طغاة العالم ، زئير العاصفة ، إرادة الحياة ، هي ظاهرة الإحساس التي تلائم أبيات القصائد ، و هذا لتكريس الإحساس الوجداني ، و هذا ليس غريبا على شاعر مثل الشابي الذي عبر عن صدر التجربة الشعرية بواسطة عاطفة إنسانية متأججة .

3. تقديس المـــرأة :

المرأة هي الغرض الثاني الذي حفل به ديوان "أغاني الحياة " ، باعتباره غرضا مركزيا في المدرسة الرومنطيقية و تبدو المرأة في أغاني الحياة امرأة مثالية تجمع بين براءة الطفولة و جمال الورود وطهر الملائكة، و نجد هذا في قصائد عديدة منها قصيدة " صلوات في هيكل الحب" التي يقول فيها :

عذبـة أنـت كالطفولـة كالأحـلام كاللحـن كالصبـاح الجديـد
كالسمـاء الضحـوك كالليلة القمـراء كالـورد كابتسـام الوليـد
يا لهـا مـن طهـارة تبعـث التقـد يـس فـي مهجـة الشقـي العنيـد

و الشيء الواضح أن الشابي يرقى "بالمرأة إلى درجة المثالية، فهي تجمع بين الطهر الملائكي و الجمال الأسمى و المرأة في نظر الشابي تشيع في النفس طربا غير معهود إلى حد أنه أخرج المرأة من منزلة الإنسان بأخطائه و خطاياه و جعل منها ملاكا ، ملاكا يتدفق رقة و حنانا، و يتشح بطهر لا شائبة فيه، و جعلها كائنا مصنوعا من النور، فكأنما هي شعاع جاء يبدد ظلمة النفس و يزيل وحشتها.[1]

إذن فالشابي جعل المرأة كائنا نموذجيا، فهي الشيء النفيس، و هي الضوء الذي ينير له دربه و يزيل عنه همومه و وحشته برقتها وطهارتها التي لا تشوبها شائبة، إذ يقول في قصيدة "ابنة النور":

(1) أبو القاسم الشابي: الديوان، ص 60

يا ابنة النـور إننـي أنا وحـدي من رأى فيـك روعـة المعبـود
فدعينـي أعيـش في ظلك العـذب وفي قـرب حسنـك المشهـود
عيشـة للجمـال و الفـن و الإلهـام و الظهـر و السنـا و السجـود (1)

و هذه الأبيات تمثل نقلة نوعية في ذوق الشاعر ، فلقد كان يرسم لها صورة تراثية في عمومها ، إذ الجمال الآسر و الطهر الملائكي نعتان تقليديان عبّر عنهما الشعراء القدماء بشكل أو بآخر ، أما عندما تصبح المرأة قطعة شفافة من النور فإن المشهد يختلف و ينتقل بنا من الذوق الغائر في القديم إلى ذوق حديث(2)

إذن فالشابي جعل المرأة ملكا لا بشرا و أخرجها من مستوى الواقع إلى مستوى المثال ، إذ نجد صدى المرأة المثالية في العديد من قصائد الشابي ، فبمجرد رؤيتها تتدفق الحياة حلاوة و عذوبة ، و لقائها يخرج الإنسان من الحياة إلى بر الأمان ، و كلما نظر إليها ازداد إعجابا بها ، لأنها تعيد الفرح لا لمن امتلأت نفوسهم غما ، و خير ما يصوّر ذلك قصيدة " أراك"

أراك فتحلـوا لـدي الحيـاة و يملأ نفسـي صبـاح الأمـل
و تنمـو بصـدري ورود العـذاب و تحنـو علـى قلـبي المشتعـل
و يفتنـني فيك فيـض الحيـاة و ذلك الشبـاب الوديـع الشمـل
و أعبد فيـك جمـال السمـاء ورقـة ورد الربيـع الخضـل (3)

فالمتأمل لهذه الأبيات يجد أن المرأة عند الشابي هي مصدر الأمل و الفرح ، و التفاؤل بالحياة ، و فقدانها يجعل الحياة بائسة ، و يصورها تصويرا يتجاوز الواقع ، إذ لا يضاهيها شيء في مقاومة البؤس و تبديد الأحزان .

إضافة إلى هذا كله ، فهو يرى « المرأة على قلم الشاعر شيء يحار في أمره و في حقيقته ، فهل هي رسم عبقري حافل بالعمق و الغموض و الجمال المقدس أم هي السحر ؟ أم روح الربيع ؟ تهب في الكون فينفتح ورودا و أطيابا ، و أنها تعيد خرائب روحه ما تلاشى من سعادة أيامه » (4)

(1) محمود المسدي ، الحياة الثقافية ، ص 107
(2) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، ص 565
(3) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 118
(4) حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ص 564

إذن من كل ما سبق نتوصل إلى نتيجة و هي أن المرأة في نظر الشابي باعتباره شاعرا رومانسيا امرأة مثالية تجمع بين الأحلام و الأزهار و الروح الشفافة ، فكأنها امرأة جاءت من عالم سحري ملائكي لم يعهده الناس من قبل.

4. تقديس الطبيعـــة :

الشاعر مخلوق غريب ، ذو عين ثالثة معنويا ،ترى في الطبيعة ما لا تراه العيون ، و أذن باطنية تسمع من همس الليالي و الأيام ما لا تسمعه الآذان ، و ما هذه العين إلا ملكة الخيال فيقول أبو القاسم الشابي :« إن الخيال ضروري للإنسان لا بد منه و لا غنى عنه ، ضروري كالنور و الهواء و الماء و السماء ، ضروري لروح الإنسان و لقلبه و لشعوره » و من هنا يتضح لنا أن الشاعر ينقل الواقع إلى عالم الخيال ، أو بعبارة أخرى عالم الطبيعة أو الغاب ، إذ يقول في قصيدة " أحلام شاعر "

ليتنـــي أن أعيـــش في هذه الدنيـــا سعيـــدا بوحـــدتي و انفـــرادي
أصرف العمر في الجبال و في الغابـــات بيـــن الصنوبـــر و الميـــاه
أرتب المـــوت و الحيـــاة و أصغـــي لحديـــث الآزال و الآبـــاد
و أغنـــي مـــع البلابـــل في الغـــاب و أصغـــي إلى خريـــر الـــواد [1]

فالمتأمل لهذه الأبيات يرى مدى تعلق الشابي بالطبيعة ، فهو يرى فيها الحياة النقية الكاملة ، بعيدا عن عالمه الذي يملأه الظلم و العبودية .

و نجده في قصيدة " صفحة من كتاب الدموع" يذوب في الطبيعة ذوبانا وجدانيا بخيال واسع ، إذ يقول :

و يـــرى الأطيـــار فيحسبهـــا أحـــلام الحـــب تغـــرده
و يـــرى الأزهـــار فيحسبهـــا بسمـــات الحـــب تـــواده
فيخـــال الكـــون يناجيـــه و جمـــال العـــالم يسعـــده
و نجـــوم الليـــل تضاحكـــه و نسيـــم الغـــاب يطـــارده [2]

(1) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 67
(2) المصدر نفسه ، ص176

و هنا نرى أن الشابي قد جعل من عناصر الطبيعة متنفسا له فأضحى يرى الأطيار فيظنها أحلام الحب و أن الكون يناديه و نجوم الليل تضحك له و الورد يداعبه .

كما تمثل الطبيعة في شعر الشابي ملاذا للرحمة و الحنان ، تخفف عن الشاعر حدة معاناته الاجتماعية و قتامة الحياة السوداوية ، و قد يجد في الغابات شيئا من الوداعة و السكينة طالما بحث عنها ، و تنقلب الطبيعة ساكنة و متحركة كأنما هي أم تحنوا على الشابي لتخفف عنه حدة المأساة التي يعانيها .

في الغاب يعجب الشاعر ببعض المشاهد فينتقي منها ما يروق له و ما يطرب نفسه ، فيقول في قصيدة : " النبي المجهول "

بعيـــدا هنــاك فـي معبــد الغــاب الــذي لا يظلـــه أي بـــــؤس
في ظلال الصنوبر الحلو و الزيتـــون يقضـــي الحيــاة حرســا بحـــرس
في الصباح الجميل يشــدو مــع الطيـــر و يمشـــي فـــي نشـــوة المتحســـي (1)

من خلال هذا يتضح لنا أن الشابي يبحث بين الأشجار عن نغمة شجية و مشهد ساحر لتستمتع الأذن و البصر فيضيع في أحضان الطبيعة ، و يذوب في رحابها متجاوزا الواقع المر الذي يعانيه .

و نجد أن الشابي « يذوب في الطبيعة ذوبانا وجدانيا ، فيجري شعره و بيانه بما يعبر عن ذات الراعي ، و عن الطبيعة التي غنى فيها ذلك الراعي ، و ذكره لهمس السواقي للعطور التي تفوح من الزهر ، و للوادي الذي يغشيه الضباب ، و قد استطاع الشابي أن يحول ذلك إلى سيمفونية شعرية معقدة تتداخل فيها عناصر من الطبيعة و الإنسان و تمتزج صوتا و لونا و رائحة ، فمن الكلأ إلى صوت الناي ، و النغم الذي يعلو من قلب الشاعر فواحا بعطر الورود إلى الضباب الذي وصفه هنا وصفا غريبا فهو مستنير ، و من طبيعة الضباب أن يحجب الرؤيا و أن يكون كثيفا قاتما و لكن الشابي يستخدم الألفاظ استخداما شعريا ، فيضمن الكلمة معنى غير المعنى الذي يرتبط به القاموس » (2)

(1) المصدر السابق ، ص 95

(2) د. إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، ط3 ، 2010 ، ص 181

و خلاصة القول أن الطبيعة بشكل عام و الغاب بصفة خاصة ، يمثلان بالنسبة لأبي القاسم الشابي بوابة الخلاص و دوحة السلام الفيحاء ، إذ إنه يرى أن الحياة مليئة بالشرور و الآثام و القبح ، و الطبيعة هي خير العالم يستطيع المرء أن يلتمس فيه الجمال و الخير ، بعيدا عن الناس و ما في نفوسهم من شر ، و هي ليست مجرد ملجأ يعتزل فيه الشابي المجتمع و شروره و قيوده ، و لكنها عنده عالم حي ينبض بالحياة ، و كل عصفور و كل ظل أو ضوء له في نفسه معنى خاص ، إنه يتخذ من الطبيعة خليلا يغنيه عن الناس ، و يجد فيها العزاء و السلوى .

ثانيا. على مستوى الشكل

1. اللغة الشعريـــة :

تعد اللغة جزءا لا يتجزأ من عملية الإبداع ، و العمل الشعري يتوقف على عنصر اللغة فيشترط فيها التنسيق في الألفاظ ، حيث يؤدي هذا التنسيق إلى تشكيل إيقاع القصيدة ، « فللشعراء إذن لغتهم الخاصة التي يتطلب منها أن تكون مستوفية للشروط التي اشترطها التقسيم في مكانها جميلة و نظيرة » [1]

و باعتبار أن اللغة تعد عنصرا مهما من عناصر الشعر وجب على الشاعر « أن يسلك فيها سلكا خاصا ليستطيع أن يؤدي المعاني بطريقة تختلف عنها فيما عدا شعر من فنون القول ، و معنى أن عليه أن يختار فيتحرى الجميل المناسب ، و الأنيق الحسن » [2]

فاللغة إذن مجموعة من العلاقات ليست مجرد تركيب لغوي فحسب ، فالشاعر حينما يستخدم الألفاظ إنما يقوم بتصوير ذهني له و دلالته و قيمته الشعورية ، فأهمية الألفاظ تكمن في أنها تختزن رصيدا من المعاني و الدلالات التي يثيرها الشاعر في خياله عن طريق الاتصال دون محاولة تمثيل هذه العمليات الذهنية المجردة في وسائل تعبيرية مختلفة تبعا للمنبهات الخارجية كالاستعارة و التشبيه ، و باقي الأساليب البلاغية ، و المجاز باعتباره عنصرا هاما في هذه الأساليب فإنه يؤدي وظيفة هامة في نقل الحالات الشعورية ، و من ثمة يصبح المجاز في اللغة واسطة تنطوي على عمليات نفسية

(1) إبراهيم السمرائي : لغة الشعر بين جيلين ، دار الثقافة ، بيروت ، ص 22
(2) المرجع نفسه ، ص 22

لا تقف عند المحسوس فقط ، بل يحاول أن يجسد المجردات بنمو هذه الوسيلة التعبيرية ، و تصبح بذلك اللغة تحمل أكثر من معنى ، من ذلك ما يكون في المفردات ومنها ما يكون في التراكيب ، و منها ما يعود إلى طبيعة الصور ، و مهما اختلفت الصورة الشعرية فإنها تظل دائما أساسها الخيال الناسج لها ، المجسد للصورة الشعرية ، و هذا ينقل إحساس الشاعر و انطباعه ، مما يجعلنا نشارك الشاعر في إحساساته الذاتية العميقة كما في قصيدته " مناجاة عصفور "

أيها الشـــادي المغـرد هـــا هنـــا ثمـــلا بغيطـة قلبـــه المســـــرور
قبل أزاهيـــر الربيـــع و غدهـــــا رغم الصبـاح الضاحـــك المعبـــود
و أشرب من النبع الجميـــل الملتـــــوي ما بيـــــن روح صنوبـــــــر و غريـد (1)

فالمتأمل لعمق القصيدة يجد أن الشاعر قد أعطى الطبيعة صفة الحركة و أضفى عليها الحياة ، فكأن الطبيعة هي الشاعر يحكي قصته و ذكرياته ، فالصور تقبل أزاهير الربيع ، و بقاء دموع الفجر في أوراق الشجر صورة دالة و مثيرة لكثير من الدلالات الوجدانية و النفسية الكامنة في نفس الشاعر بينه و بين محيطه ، و« استلهام الطبيعة هي ثمرة امتزاج المقوّم اللغوي بالمقوّم النفسي ، فتتمثل في تناسج كل من البنية و الحركة داخل صياغتها ، و هي ظاهرة قلما تتضافر في الفعل الشعري » (2)

و هذه القصيدة أيضا تزخر بالكثير من الإيحاء ، هذا الأخير يزخر بطاقة من التضمين الدلالي ، تتحول بها القدرة التعبيرية من استطاعة التصريح إلى سعة التقرير ، كما أن « الخيال يخلق نوعا من المعرفة الفلسفية بالمقارنة حينما يمتزج الخيال بالفكر ، و هو عند الشابي ضرب من الرؤية الباطنية الفسيحة ، تتخطى حدود الزمان و المكان المرتبطة بعالمه الخارجي ، و تعطي للصورة الشعرية طبيعتها ، و تكشف المعاني العميقة التي يقصد بها » (3)

فاللغة إذن هي الوسيلة الأكثر فعالية في الإبداع ، و هي المقيد الوحيد للأفكار و المجسد للخيال ، فهي كائن له خصائصه الفنية و الفلسفية التي يتواصل بها أي مجتمع منفعل ومتفاعل معها .

(1) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 107
(2) عبد السلام المسدي : قراءات مع الشابي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ص 21
(3) محمد مصايف عفيفي : النقد التطبيقي و الموازنات ، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، ص 187

2. الوحدة العضوية :

كانت القصيدة العربية منذ العصور الماضية تعتمد على وحدة البيت ، و معنى هذا أن كل بيت مستقل عن غيره بمعناه ، بحيث لا يتوقف فهمه على فهم ما قبله أو ما بعده ، و قد عد ذلك في نظر القدماء ميزة، « فقد آثر أحد الشعراء قوله يعيب زميلا له : أنت تقول البيت و أخاه و أنا أقول البيت و ابن عمه ، و معنى هذا أن المتكلم يفخر على المخاطب بأن البيت في قصيدته مستقل استقلالا ظاهريا، فلا يحتاج إلى الذي يليه ليتم معناه، و أجمع البلاغيون و نظرائهم من العروضيين و نقدة الشعر القديم على ذم البيت الذي لا يتضح مضمونه إلا بقراءة البيت التالي. [1]

بيد أن الشعراء المجددين أعابوا على الشاعر العربي القديم طريقة عرضه للأفكار، لأنه إذا ما أراد أن يسقط فكرة من أفكاره فإنه يلقيها في بيت أو في جملة، ثم انهال بوابل من الأفكار، و ينقل من فكرة إلى فكرة أخرى، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل هناك وحدة عضوية في شعر أبي القاسم الشابي؟ من أجل ذلك نتطرق إلى مقطع من قصيدته "إلى الشعب":

أنت يـا كـــاهن الظـلام من حيـاة ... تعبـــــد المـــوت أنت روح شـــقي
كافـــر بالحيـــاة و النـــــور...لا ... يصـغي إلى الكـون قلـبه الحجـري
أنت قلـــب ...لا شـوق فـــيه ...ولا ... عـــزم، وهذا داء الحيـــاة الـــدوّي
أنت دنيـــا يظلـــــها أفـــــق ... المـــاضي، و ليـــل الكآبـة الأبـــدي [2]

فالمتأمل لهذه الأبيات يجد أن الشاعر قد وفق في توفير الوحدة العضوية لقصيدته هذه، فمنذ بداية القصيدة نلاحظ أن كل بيت ممهدا لما بعده، كما أن كل خصائص الوحدة العضوية موجودة من توفر الخاطر و طول النفس و الاسترسال.

(1) د. إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص327
(2) أبو القاسم الشابي: الديوان، ص 130

إلى جانب هذا عنونة القصيدة "إلى الشعب" ، إضافة إلى أن مقاطع القصيدة كانت مكملة لبعضها البعض و لا يمكننا تقديم أو تأخير بيت عن آخر ، فكل مقطوعة تنتهي ، تكون تمهيدا للمقطوعة الموالية ، و كل مقطوعة تحمل معنى جزئي ، إلا أنها جميعا تهدف إلى غرض واحد و عام هو خدمة الكل ، فبفضل ذكاء الشاعر استطاع أن ينسق بين هذه الأعضاء ، حتى أن القارئ لا يلمس انتقالا من جزء لآخر .

لقد تمكن الشابي من تتبع ذلك الخيط الذي يربط جميع أجزاء القصيدة ، ليكوّن في الأخير جسما حيا للقصيدة كلها ذا غرض واحد ، و هذا بالنسبة لمعظم قصائده .

الشابي أحد الشعراء الذين استطاعوا الخروج عما كان يميز الشعر القديم من تفكك الأفكار و تعدد الأغراض و هذا دليل على أن القصيدة في شعره أصبحت ذات وحدة عضوية وفنية متكاملة ، و لم يعد البيت وحدة مستقلة ، بل صار جزءا من بنية حية تعبر عن تجربة واحدة .

و يمكننا القول بأن أبا القاسم الشابي جعل القصيدة عملا متكاملا و بنية عضوية حية ، حيث تتفاعل مع بعضها تفاعل الأعضاء المختلفة في الجسم الحي ، فتصبح القصيدة قصيدة عضوية ، أي ذات بنية حية تنمو داخلها في اتساق تام إلى نهايتها .

3. الأسلـــــــوب :

إن المتصفح لأسلوب الشابي يجده يتميز بأناقة التعبير و أصالته من حيث هو :« عنيد كالعاصفة يمثل سخط الحياة ، و توازن العواطف يكون وادعا كالقمر حينما يمثل طمأنينة الحياة و سكينة النفس و يكون رشيقا شجيا كأنّات ناي بعيد حينما يمثل أحلام الحياة و نجوى القلوب المتحابة ، يكون كئيبا مظلما حينما يمثل بؤس الحياة و أحزان البشر » [1]

(1) خليفة محمد التليسي : الشابي و جبران ، ص 100

إن النظر في هذا التعريف من جهة و قراءة قصائد الشابي من جهة أخرى يجعلنا ندرك الدعائم الأولى و الأساسية التي اعتمدها الشابي في بناء هذا الأسلوب و التي تمثلت في أناقة التعبير و أصالته كما امتاز ببعده عن النثرية السطحية و تبرز هذه الأناقة و الروعة من خلال استعماله للألفاظ التي جاءت متطابقة مع المعاني و أعطتها دلالات على قدر كبير من الوضوح و الدقة حيث نجد أن الشابي قد عمل إلى استخدام الألفاظ السهلة و البسيطة و المألوفة ، و ابتعد عن الغموض الذي يعرقل فهم القارئ فكان الوضوح من المميزات التي تظهر في أبياته الشعرية .

« هذه البراعة في استخدام الألفاظ و التبني في تركيبها التي نجدها في قصائد الشابي ليست هي التي تولّد الأسلوب و تعطيه القوة ، بل إن قوة الإحساس المغروسة في روح الشاعر هي التي تخلق هذا الأسلوب الذي نحسه قبل أن نفهمه » [1]

لذا يمكننا القول بأن هذه القوة في الإحساس جعلت أسلوب الشابي يتناسب في عفويته و بساطته التي وظفها للتعبير عن تجاربه اليومية في الحياة .

يا شعب ليتني كنت حطابا فأهوي على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول إذا سالت تهد القبور رمسا برمسي
ليتني كنت كالرياح فأطوي كل ما يخنق الزهر بنحسي

إلى أن يقول :

أنت روح غبية تكره النور وتقضي الدهور في ليل ملس
أنت لا تدرك الحقائق أنت طافت حواليك دون مس و حبس [2]

(1) المرجع السابق ، ص 101
(2) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 93

فالشاعر يستعمل في مستهل نصه أسلوب الخطاب " أيها الشعب" ، ثم يأتي بعد النداء " ليتني " التي تتكرر مرتين متتاليتين ، فحين نعلم أن "ليت" تفيد معنى التمني التي تجلى لنا الموقف الصعب الذي يقفه الشاعر مع شعبه الذي يمني النفس لإيقاظه ، و جعله يستفيق من سباته العميق الذي يؤدي إلى هلاكه و اندثاره.

ثم يغير «الشاعر بدءا من البيت الثاني أسلوب التخاطب فبعد التمني و إبداء معاني الحزن و الأسى على ما يعانيه شعبه يوجه خطابه توجيها مباشرا و يحاول أن يضع يديه على مواطن الداء معتمدا أسلوب التجريح ليس من أجل التجريح و لكن قصد التنبيه » [1]

و الشيء الذي يمكن ملاحظته أن الشابي يمزج بين الأساليب ، بحيث لا يوظف أسلوبا واحدا فقط بدليل أنه ينتقل من الأسلوب الخطابي مباشرة إلى الأسلوب التكراري فيقول :

في صباح الحيـــاة ضخمت أكوابـي و أترعتهـــا بخمـــــرة نفســـــي
ثـــم قدمتهـــا فأهـــــــرقت رحيقـــي و دســـت يا شعـــب كأســـي
ثـــم نضـــدت مـــن أزاهيـــر قلـــبي و كفكفـــت مـن شعـــــوري و حســـي
ثـــم قدمتهـــا إليك فمزقـــــــت ورودي و دستهـــــــــــا أي دوس [2]

نلاحظ كيف أن الشابي اعتمد أسلوبا تكراريا من خلال استعماله لحرف العطف " ثم " الذي يفيد معنى الترتيب مع التراخي فـــ " ثم " جاءت بعد أن أفرغ أكوابه ، و اقترنت مع الأفعال الماضية ، "قدمتها ، سكت ، نفذت " إذن « مبدأ التكرار هنا أتى بطريقة منهجية دقيقة لتخدم النتيجة الحتمية التي سيتوصل إلى إقراراها فيما بعد و التي قد تعني البحث عن بديل لذلك الشعب الذي لم يكن في المستوى المنشود الذي أراد الشاعر أن يبلغه من خلال تحريضه » [3]

مما سيق يمكن القول أن أسلوب الشابي أسلوب يناسب في عفويته و بساطته بساطة من أدرك اللفظ و مدى قوته التصويرية ، و قوة الإحساس قد وجهته توجيها خطابيا تكراريا .

(1) د. بوجمعة بوبعيو : النص الشعري بين التأصيل و التحليل ، منشورات جامعة دار الكتب الوطنية بنغازي ، ط1998 ، 124
(2) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 93
(3) د. بوجمعة بوبعيو : النص الشعري بين التأصيل و التحليل ، 125

4. الموسيقى الشعرية :

الموسيقى روح الشعر، فالموسيقى هي العنصر الأساسي في الشعر ، ذلك لأنها تحقق نغمات يرتاح لها السامع و يطرب منها ، ذلك « أن شرط ذيوع الشعر و شهرته أن تسمع أذان الناس موسيقاه قبل استماعهم لمعانيه و مراميه فنغمة الموسيقى تلذ السامع أيا كانت بنيته الاجتماعية و تسمعها في شعر هذا أو ذاك » (1)

و تنقسم موسيقى الشعر إلى قسمين هما الموسيقى الداخلية و الموسيقى الخارجية و سوف نتطرق بادئ ذي بدء بالموسيقى الداخلية و التي تشتمل على :

- **الوزن** : إن الوزن وحدة صوتية يرمز لها علم العروض بـــ المتحرك و الساكن و تقوم على أساس التفعيلة هذه الأخيرة التي تكون مع عدد آخر من التفعيلات و هي في الشعر القديم لا تخالف و لا تخرج عن البحور التي وضعها الخليل ، لكن « الحركة التجديدية في الأوزان و القوافي ، ترمي إلى تشكيل موسيقى أخرى تلائم التجربة الشعورية ، لأن العملية الشعورية في الواقع عملية تنشأ بالتوازن بين حركة السياق الموضوعي للمعاني و تموجات المستوى النفسي للحالة الشعورية و البناء الموسيقى المتآلف في انسجام خاص » (2)

و لذا قامت القصيدة الجديدة على أسس جمالية مختلفة بحيث غير الشعراء موقفهم من الوسائل التشكيلية الموسيقية القديمة و بخاصة الوزن.

و سوف نتطرق إلى البحور التي استعملها الشابي في معظم قصائده حيث يحتل « البحر الخفيف المقدمة بنسبة 22% و البحر الكامل بنسبة 18% و أخيرا يأتي في المرتبة الثالثة بحر الرمل بنسبة 15% و السبب الذي جعل الخفيف يأخذ المرتبة الأولى في النسبة المئوية هو ميل الشاعر لارتباطه بمستويات التجربة و أبعادها المختلفة فوقوع مستفعلن ، فاعلات يبطئ من تدفق الحالة الوجدانية السريعة و يقلل من التصعيد النفسي العنيف الذي

(1) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، مكتب الأنجلو المصرية ،القاهرة ، ط5، 1981 ، ص 146

(2) عزيز لعكايشي: مظاهر الإبداع الفني في شعر أبي القاسم الشابي ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث ، 1980/1979، ص 164

تبناه الشاعر إزاء لحظة معينة و لا يحدث ذلك إلا بالانكسار النازل الذي تحدثه التفعيلة متفاعلن سواء في بداية العجز أو نهاية الصدر » [1]

و من أبرز الأداء النفسي و الشعوري لهذا البحر قصائد متعددة منها قصيدة " تحت الغصون " التي يقول فيها :

ها هنـــا في خمائـــل الغاب تحت الزكـــن و السنديـــان و الزيتـــــــــون
أنت أشهـــــى من الحيـــاة و أبهـــــى من جمـــــال الطبيعـــة الميمـون [2]

لذا « فالتركيب التفصيلي لبحر الخفيف بأكثر من تفعيلة واحدة يعطي فسحة الشاعر في الامتداد و المواصلة هذا علاوة عن بعض الظواهر اللغوية من ذلك ألفاظ القول التي يكثر الشاعر استخدامها نحو : قلت ، فقالت ، قلت ، التي أوجدت التقارب ، بين الوزن و الموقف النفسي للشاعر » [3]

أما استخدام البحر الكامل و حصوله على المرتبة الثانية يفسره ميل الشاعر للبحر و ما يحتويه من تشكيلات موسيقية قصيرة خاصة و أنه يمكن أن يأتي مجزوء لأنه يتلاءم مع حرية الشاعر في أن يخلق جوا شعوريا مناسبا ، و من القصائد التي ألقى فيها النمط العروضي بالمحتوى الشعوري قصيدته " الجنة الضائعة " التي يقول فيها :

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
ففيه الأشجار مذهبة الأصائل و البكـــور [4]

إن الجو العام لهذه القصيدة يتمثل في هدوء العاطفة و بطئ الحركة النفسية و الشاعر فيها يعيش بمستوى نفسي واحد حتى نهاية القصيدة و مما يلاحظ في شعر أبي القاسم الشابي و لاسيما في البحور المجزوءة أن الصدر

(1) المرجع السابق ، ص 16
(2) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 152
(3) عزيز لعكايشي : مظاهر الإبداع في شعر أبي القاسم الشابي ، ص 170
(4) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 74

و العجز كثيرا ما يتداخلان و كأن سرحانه النفسي و انسياب تجربته هي التي أملت عليه هذا ، ما نجده في قصيدة " إلى قلبي التائه " و التي مطلعها :

ما لآفاقـك يا قلبي سوادا حالكـــات ؟
و لأورادك بين الشوك صفر لداوريات ؟
و ما لمزمارك لا يشدوا بغير الشهقـات ؟ (1)

لقد عمد الشاعر في هذه القصيدة إلى تشكيلات موسيقية موحية فقد وردت التائه ذات الجرس القوي كلا من يشدوا ، الشوك ، الشهقات ، تمثل موقفه الحزين و جمعه بين حرفين يختلفان في المخرج يعبر عن حالة نفسية ووجدانية .

أما البحر الرمل الذي يحتل المرتبة الثالثة فقد استعمله الشابي مجزوءا في معظم الأحيان كما في قصيدته "أغاني الرعاة " التي يقول فيها :

أقبل الصبح يغني للحياة الناعســـــة
و الربا تحل في ظل الغصون المائســـة (2)

و خلاصة القول أن الشاعر اهتم بالتشكيلات الموسيقية و الصوتية الداخلية بحيث طابقت بين إيقاع المشاعر و صوت الأوزان .

- **القافية و الروي** : إن القافية متعلقة بمعنى ما سبقها في البيت متآلفة معه و القافية هي المركز الصوتي الذي يتكرر في آخر كل بيت من القصيدة أو المقطوعة و الروي جزء من القافية و بالضبط القافية :« هي من آخر صوت ساكن في البيت رجوعا إلى أول متحرك قبل أول ساكن قبله(3) »و هو الوزن القائم على التفاعيل و القافية الموحدة ، لكن المجددين خرقوا هذا النظام فقد أباحوا لأنفسهم أن يدخلوا تعديلا جوهريا لكي يحقق

(1) المصدر السابق ، ص 39
(2) المصدر نفسه ، ص 162
(3) د. سميح أبو مغلي : العروض و القوافي ، دار البداية للنشر و التوزيع ، عمان ، ط1 ، 2009 ، ص 53

الشاعر من نفسه و مشاعره ، ما لم يكن الإطار القديم قادرا على تحقيقه ، أما بالنسبة لأبي القاسم الشابي فإننا نجده« يميل إلى التسكين و الكسر في أواخر أبياته و يظهر التسكين في أكثر من موشحاته و قد بلغت نسبة التسكين في شعر الشابي حوالي 41 % ثم تليها ظاهرة الكسر بنسبة 35 % تقريبا »[1] و هذا الجدول يوضح ذلك .

مجموعة قصائد الديوان	الروي المسكون	الروي المكسور
190	47	42
النسبة المئوية	%41	% 35

توالي الكسر في البيت أو في القافية يعني في الغالب الأعم انكسار نفسيا و حزنا شديدا و لاسيما إذا توالت مع الكسر فإنه يكون قد وصل إلى حد التمرد و الغضب في ذلك ما يقوله شاعرنا في مطلع قصيدته " أيها الحب "

أيهـــا الحـــب أنـت ســـر بلائـــي و همومـــي و روعـــي و عنائـــي
و نحـــولـي و ألمـــي ، و عـذابـــي و سقمـــي و لوعتـــي و شقائـــي [2]

شعـــري نفاثـــة صـــدري إن جـــاش فيـــه شعـــوري
لولاه مـــا إنجـــاب عنـــي غنيـــم الحيـــلة الخطيـــر [3]

فاختلاف الروي إلى اللام إلى الدال و اقترابها من المخرج إلى الجهاز الصوتي يجعل من القافية وحدة في الإيقاع و تناسب في الأصوات و قد أضفى جو النداء الموجود في القصيدة حالة من الحزن و الأسى و هو يتناسب و حالات الكسر و التي يحدثها الشاعر في قوافيه و كذلك الحال في قصيدته "الحب" التي تقول :

(1) عزيز لعكايشي: مظاهر الإبداع في شعر أبي القاسم الشابي ، ص 176
(2) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 190
(3) المصدر السابق ، ص 26

الحب شعلـــة نـــور ساحـــر هبطت من السمـــاء فكانت ساطع الفلـــق
و مزقت عن جفون الدهـــــــر أغنيـــة و عن وجـــوه الليالي بـــرق الفســـق [1]

بحيث كشفت بعض التشكيلات الموسيقية التي استخدمها الشاعر في هذه القصيدة عن حرف الروي القاف في هذه الكلمات تمزقت ، برق ، الفسق و ميله لتسكين الروي يظهر أكثر في موشحاته من ذلك قصيدته " الصباح الجديد" التي يقول فيها :

أسكتـــــي يا جـــــــراح و اسكنـــــــي يـا شجـــــــون
مـــــات عهـــد النـــــــواح و زمـــــــان الجنـــــــون [2]

و تسكين الروي في هذه الموشحة جاء نتيجة استخدام الشاعر الألفاظ موحية بالسكون كلفظتي ، أسكتي واسكني و هو تعبير درامي يكشف عن نفس الشاعر ، و قد اعتمد الشاعر حرفي روي مختلفين من حيث المخرج و هذا التباعد و لا شك يكون لتشكيلات موسيقية يربط بعضها ببعض .

ظاهرة المقاطع الشعرية و التنويه في الروي :

لقد خالف الشابي الوزن العروضي من حيث التشكيل و لكنه التزم النهج التقليدي للوزن في مظاهره العامة و قد رأينا ذلك في موشحاته التي يعتمد في الغالب على المقاطع و التنويع في أحرف الروي و الجدول الإحصائي العام يوضح رصد المواصفات لظاهرة المقاطع الشعرية و تنويع الروي فيها :

مجموع قصائد الديوان	عدد القصائد غير المقطعية ذات روي واحد	عدد القصائد المقطعية ذات روي واحد	القصائد المقطعية ذات روي واحد
109	24	47	39
النسبة المئوية	%22	%43	%37
	60% تقريبا من المجموع العام	/	/

(1) المصدر السابق ، ص 79
(2) المصدر نفسه ، ص 230

من هنا و من خلال الجدول نلاحظ ظواهر ثلاثة :

1. انخفاض نسبة القصائد المقطعية ذات الروي الواحد
2. تقارب نسبتي القصائد المقطعية ، بين وحدة الروي و تعدده .
3. ارتفاع النسبة الإجمالية للمقاطع في ديوان الشاعر

و انطلاقا من هذه الظواهر الثلاثة يؤكد لنا ملاحظتين :

الملاحظة الأولى : تنوع ظاهرة المقاطع عند أبي القاسم الشابي مما يجعلنا نذهب إلى أن المقطع الشعري يكاد يهيمن على القصيدة و هذا يفسر محاولة التخلص من روح القصيدة القديمة شيئا فشيئا .

الملاحظة الثانية : ارتفاع نسبة تعدد الروي و هذا بطبيعة الحال يؤكد تحرر الشاعر من وحدة القافية في القصيدة الواحدة و اختفائه بالتنوع في الروي كما يقتضيه الموقف الشعري .

لذا سنطبق هذه الملاحظات على بعض قصائد الشابي :

الشكل1: و يتمثل في القصائد التي يقسمها الشاعر إلى عدد من المقاطع كل مقطع بروي واحد كما في قصيدته "شعري":

شعـــري نفاثـــة صـــدري إن جـــاش فيـــه شعـــوري
لولا مـــا إنجـــاب عنـــي غنيـــم الحيـــاة الخطيـــر [1]

القصيدة من« بحر المجتث مستفعلن ، فاعلات ، تتألف من خمسة مقاطع ، كل مقطع يتكون من خمسة أبيات أحيانا و من أربعة أو ثلاثة أحيانا أخرى ، أما بالنسبة للروي فإنه أحادي يعني أن لكل مقطع خاص به تقريبا حرف الراء إلى حرف اللام و الدال » [2]

(1) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 26

(2) عزيز لعكايشي : مظاهر الإبداع في شعر أبي القاسم الشابي ، ص 154

الشكل2: و يتمثل في القصائد التي يقسمها الشاعر إلى عدد من المقاطع كذلك لكنه في هذه الحالة تشترك بعض الأشطر المكونة لكل مقطع في روي واحد ، و تستقبل قافية الأشطر الأخرى دون أخرى أي يقوم بعملية تزاوج بين هذه الأشطر من ذلك قصيدته " جدول الحب "

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمـــــة
و اليوم قد أست كأعماق الكهوف الواجمـــة (1)

فالتزام الشاعر بحرف روي واحد في عدة مقاطع ، أو في عدة أشطر تستدعيها الحاجة قد يكون « بصوت واحد أو أصوات متعددة وفقا لما يحتاجه الإطار الموسيقي العام للمقطع ، و لذلك نجد أن أبا القاسم الشابي يجعل من حرف الروي صوتا مستقلا و متنوعا يختلف في مقطع و يتفق في آخر ، مما يجعلنا نقرر أن لشاعر حاسة موسيقية داعيا بكل الحالات التي يقتضيها النفس الشعري و يتطلبها التدفق الموسيقي الذي يقتضيه الشعور ، و من ثم فهو من هذه الناحية يكون قد اقترب من الصورة الموسيقية في القصيدة الحديثة ، و بالتالي تعد مساهمته في هذا المجال مساهمة واسعة» (2)

و من خلال ما تقدم نستنتج أن الشابي في طريقته الفنية كان يتوخى البساطة مع ما فيه من قوة و مقدرة فجاءت عباراته كالسيف القاطع الذي يهوي في خط مستقيم ، بينما المعروف عن معظم الشعراء العرب أنهم يهيمون في المحسنات البديعية و اللفظية ، فكان الشابي يكتب من فيض روح اللغة لأن لغة الروح لغة كل زمان و مكان .

5. الرمـــز و الصـــورة :

إن اللغة الشعرية لغة إيحائية تحمل الكثير من الكلمات ذا الدلالات المختلفة و كلمات ذات طابع شعري تسعى إلى بناء خلق مختلف من علاقات مختلفة في طريقة غير معهودة من التعبير، و عندها لا تكتفي هذه اللغة الشعرية

(1) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 161
(2) عزيز لعكايشي : مظاهر الإبداع في شعر أبي القاسم الشابي ، ص 161

بالصورة فقط، بل تتعداها إلى رمز و ليس« الرمز إلا وجها مقنعا من وجوه التعبير بالصورة، و كثيرا ما تتحول الصورة إلى رموز، فالصورة يمكن استعارتها مرة على سبيل المجاز لكنها إذا عاودت الظهور إلحاح ...فإنها تعود رمزا» [1]

و هكذا يضحى الرمز أحد وجوه الصورة الشعرية ، و الرمز يسعى بشكل دائم نحو المزيد من العطاء للتجربة الشعرية ، و الوعي الشعري الرمزي يتأكد بالصورة الحسية التي تصبح أمرا كليا فوق المحسوس و لقد تخلى « الرمز عن ضبابيته عند شعراء الرومانسية ، و عاد يأخذ شيئا من ملامحة المادية التي شكلت منطلقه الأول ، و ابتعدت الصورة بدورها عن ماديتها السطحية ، و صارت تكتب بعدا إيحائيا يسهم في إثراء النص و إغناء الأسلوب » [2]

و هكذا جعل الشعراء الرومانسيون من الرمز و الصورة وحدة متكاملة كما هو الحال بالنسبة للشابي هذا الشاعر الرومانسي الذي وظف باطراد كلمات النور و الظلام و نجد لديه عداد وافرا من الكلمات المنتسبة إلى الظلام مثل : ظل ،و كهف ، أسود ، ليل ، و كلمات أخرى تتعلق بعالم النور مثل : الفجر ، الصباح ... إلخ

و إذا صنفنا الكلمات على نحو التقابل فيه بين النور و الظلام في المجموعة المسماة بأغاني الحياة فإن التصنيف يبرز كما يلي :

- « الظلام أو الظلمة تبلغ (267 كلمة) ، منها مئة و تسع و عشرون كلمة تتعلق بالظلام و مئة و خمس كلمات تكرر فيها إسم الليل ، و سبع و عشرين كلمة تكرر فيها إسم الفجر و ست كلمات تكرر فيها إسم السواد.
- النور : تبلغ الكلمات التي تعبر عن النور (315) منها إحدى و خمسين كلمة تردد فيها إسم النور و أربع و أربعون كلمة تردد فيها إسم الضوء و ست و أربعون كلمة تردد فيها إسم الشمس و إثنا عشر كلمة تردد فيها إسم التلألؤ ، ست كلمات تردد فيها النهار و أربع كلمات تردد فيها إسم البياض » [3]

(1) محمد علي كندي : الرمز و القناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط1 ، 2003، ص 51
(2) المرجع نفسه ، ص 57
(3) محمود المسعدي : الحياة الثقافية ، ص 140

و هكذا يوظف الشابي أنماطا عديدة من الظلام ، كالليل ، السواد ... إلخ ، و أنماط أخرى من النور ، كنور الشمس ، نور النجوم ، و غيرها .

يمثل النور عنصرا من العناصر التي يصور فيها الشابي المرأة تصويرا مثاليا و ينسب التلألؤ للمرأة و يشبهها بظل الصباح و السماء الضحوك ، و الليلة القمراء :

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد ، كابتسام الوليد (1)

و يمضي إلى حد أن يناديها بابنة النور ، التي ستحرره من عالم بائس ، و بمجرد رؤيتها فإن ضوء لطيفا يغمر كيانه .

و عندما ينادي الشاعر إلى الكفاح و ضرورة طموحة إلى ذلك في قصيدة إرادة الحياة يصف الطبيعة وكأنها متلألئة بالنور و هذا يرمز إلى عودة الربيع و الفرح لأن الأرض و ما فيها تشتاق إلى فصل الربيع الذي يملأ الدنيا سرورا فيقول :

تسائل أين ضباب الصباح و سحر المساء و ضوء القمر
و أين الأشعة و الكائنات و أين الحياة التي أنتظر
ظمأت إلى النور فوق الغصون ظمأت إلى الظل فوق الشجر (2)

كما أن الحزن و الفرح حالتان يعبر عنهما الشابي في شعره و يمثلهما على التوالي الظلام و نور النجوم:

(1) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 60
(2) المصدر نفسه ، ص 242

فيك ما في عوالمـــي من ظـــلام سرمـــدي و مـــن صبـــاح وليـــد
فيك ما في عوالمـــي من نجـــوم ضحكـــات خلـف الغمـــام الشرود (1)

و مظاهر « النور و استعمالاته المتواترة مثل الصباح و الشمس و النجوم و الفجر تعزز صور النور والظلام و توحي على وجه الخصوص بالحياة و الفرح و السعادة ، و الصباح شأنه شأن الفجر المقترن بالنور الروحاني و هو يرمز إلى نهاية آلام الشاعر و بداية آمال جديدة و حياة ناعمة » (2)

و هكذا يمثل الصباح في قصيدة أغاني التائه كما هو الحال في غيره من القصائد آمالا جديدة يسعى إليها شاعرنا:

يا بن أمي ترى أين الصباح أ وراء البحر ؟
أم خلف الوجـــود يا بن أمـــي
ترى أين الصبـــاح ؟ (3)

و من كل هذا سنتطرق إلى تلك الصور و الرموز بشيء من التفصيل بالنسبة لليل ، الفجر ، الربيع الخريف ... إلخ

أولا. الليـــــل :الليل عند الشابي رمز للظلمة و الحزن و قتل الأحلام ، و الخوف بل للضعف و القسوة فيقول :

لست أبكي لعسف ليل طويـــل أو ربيـــع إذا الصفـــاء مراحـــه
إنمـــا عبرتـــي لخطـــب ثقيـــل قد غزانـــا و لم نجـد من أزاحـــه (4)

و يقول في موضع آخر

(1) المصدر السابق ، ص 127
(2) محمود المسعدي : الحياة الثقافية ، ص 143
(3) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 133
(4) المصدر نفسه ، ص 24

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي و لابد للقيد أن ينكسر (1)

ففي المثال الأول نجد أن الشاعر يشكل صورة مركبة مع العسف ثم يصفها بالطول "عسف ليل طويل " و هو يتحدث عن المستعمر الذي طال بقاؤه على أرض تونس و يظهر الشاعر نفسه ضعيفا اتجاه هذا المستعمر حيث لا يملك إلا الدمعة ، و صورة الليل هنا رمز للمستعمر الظالم.

كما يستعمل الشاعر الليل رمزا للحزن فيقول :

أزنبقة السفح ؟ مالي أراك تعانقك اللوعة القاسية
أأسمعك الليل نذب القلوب أم أرشفك الفجر كأس الأسى (2)

و الليل هنا يُسْمِع الزنبقة نذب القلوب ، لأنه لا يسمع لحن القلوب السعيد بحيث لا يحمل السرور ، بل يحمل الحزن و البكاء .

و يستخدم الشابي الليل للدلالة على الغربة كوجه من وجوهه فيقول

و السعيد السعيد من عاش كالليل غريب في أصل هذا الوجود
ثم أقضى هناك في ظلمة الليل و ألقي إلى الوجود بيأس (3)

هذه بعض الرموز التي تحمل دلالة الليل و تصوره بكل ما يحمل من دلالات الظلم و الحزن و الغربة ، بكل القسوة و الرهبة التي تعج بها نفس الشاعر .

(1) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 236
(2) المصدر نفسه ، ص 51
(3) المصدر نفسه ، ص 51

ثانيا. الفجـــر :تحمل صورة الفجر عند الشابي دلالة الجديد و الإشراق و الأمل و الحرية فالفجر جميل ، خالد ، سرمدي فيقول :

حينما يستيقظ الفجر الجميل من سباته (1)

كما أنه فجر سرمدي إذ يقول

لأذوب في فجر الجمال السرمـــــــــدي و أرتوي من منهـــــل الأضـــــــــواء (2)

إضافة إلى أنه خالد فيقول :

غني أنشودة الفجـــر الضحـــــوك أيهـــــــــــــا الصبـــــــــاح
فرحا بفجـــر الخلـــــــود البهيـــــــج و ما حوله من بنـــــات النجـــــــوم (3)

ثالثا. الربيـــــع :يأخذ الشابي من الربيع رمزا يحمل دلالات النماء و المنظر الجميل و واهب الحياة و بذلك فهو رمز موازي للفنان فيقول :

و الربيع فنـــان شاعرهـــــا المفتـــــون يغـــــري بحبهـــــــا و هواهـــــا (4)

كأنه فنان رسام يرسم الطبيعة الفاتنة بريشته الساحرة التي تحيل الجفاف إلى حياة :

و إلا ربيـــــع الوجـــود الفريـــــــــد و رقـــص الأشعـــة فـــوق الظـلال (5)

(1) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 394
(2) المصدر نفسه ، ص 253
(3) المصدر نفسه ، ص 112
(4) المصدر نفسه ، ص 248
(5) المصدر نفسه ، ص 128

و هو ساحر في قوله

متنقـــلا بيـــن الخمائـــل تاليـــــــــا وحـي الربيع الساحر المسحـــــــــــور [1]

نجد أيضا أن الشابي يهدد المستعمر بأن ما يراه من جمال صامت للربيع لا يغري و لا يخدع لأنه يحمل العاصفة وراءه :

رويـــدك لا يخدعنـــك الربيـــــــــع وصحـــو الفضـــاء و ضوء الصبـــاح [2]

رابعا. الخريف :و كعادة الشابي يستخدم الرمز وضده و على النقيض من الربيع نجد رمز الخريف كموازي يرمز للموت و الذبول إذا يقول :

و قلت هو الكـــــون مهد الجمـــــــال و لكـــن لكـــل جمـــال خريـــــــــف [3]

يمثل الخريف إذن ذبول الجمال .. فهو يدفن الجمال بالصقيع فيقول :

قضـــت في حفا فيه تلك الزهـــــــــور فكفنهـــا بالصقيـــع الخـــــــريف [4]

الخريف أيضا رمز للذبول ، ساحب ملول يقول الشابي :

و بين الغصون التي جردتها ليالي الخريف القوي العسون [5]

خامسا. الحلم :يأخذ الشابي رمز الحلم موازيا للأمل فهو يأخذ إيحاء جديد في كل سياق و هذا الرمز الشعري يمثل الأمل الذي يتطلع إليه الشاعر و أحيانا أخرى يكون الحلم موازيا رمزيا للأمل الخادع بما أن الحلم ساحر و معسول فيقول الشاعر :

---

(1) المصدر السابق ، ص 105
(2) المصدر نفسه ، ص 260
(3) المصدر نفسه ، ص 98
(4) المصدر نفسه ، ص 97
(5) المصدر نفسه ، ص125

حلم ساحـــر به حلـــم الغـــــــاب فواهـــا لحلمـــه المعســـــــول [1]

كما أن السعادة حلم لأنها أمل بعيد بالنسبة للشاعر في قوله :

فما السعادة في الدنيا سوى حلم ، حلـــم نـــاء تضحـــي لـه أيامهـــا الأمـــم [2]

كانت هذه بعض الرموز التي استخدمها الشابي في شعره لتضفي على القصيدة جمالا و بريقا خاصا ، حيث كانت هذه الرموز بمثابة الأداة التي استعملها الشاعر ليوصل لنا أفكاره و ما يرمي إليه بطريقة فنية رائعة .

(1) أبو القاسم الشابي : الديوان ، ص 226

(2) المصدر نفسه ، ص 214

إذا كان للفكر فلاسفته ، و للعلم عباقرته ، و للحرب رجالها ، فإن للشعر أساطينه الذين تولوا بأقلامهم رفع رايته ، و من هؤلاء الشاعر أبو القاسم الشابي الذي سطر اسمه بحروف من ذهب ليسطع كشمس في سماء الأدب العربي و رغم رحيله المبكر إلا أنه قضى حياته كعصفور مغرد ، فكان شاعرا و نعم الشاعر في ألفاظه نغمة و عذوبة في معانيه عمق و شفافية و إبداع ، فكان شاعرا مجددا مؤمنا بأن للشعر رسالة إنسانية سامية . و تتويجا لهذه الدراسة يمكننا القول أنه ومن خلال هذا البحث المتواضع قد خلصنا إلى جملة من النتائج :

أن الشاعر أضفى على تجاربه الشعرية روح الطبيعة و بالتالي فقد شخصها تشخيصا ماديا ، و أهم ظاهرة تبرز في شعر الشابي هي ظاهرة التشاؤم ، و ذلك لعدم توافق الشاعر مع نفسه ، و مجتمعه كما أنه استطاع أن يحرر الأدب العربي من نطاقه الضيق و من الأغراض التي كان يتخبط فيها لما رفض التكهن و الافتعال و الفردية و العبودية و دعا إلى المعاني الإنسانية و لم تكن اللغة عند الشابي مجرد أداة فقط قدر ما كانت إبداعا و فنا تتفجر منه آيات مليئة بالحياة .

اننا لمسنا في أسلوبه البارع الرشاقة في الأداء الشعري ، والصدق في التعبير والجرأة في التجديد ، أداء شعريا ينم عن عاطفة عارمة تصدر عن روح إنساني خالص .

لقد كان الشابي على قدر كبير من النضج الشعري في مجال تطوير القصيدة من حيث كونه حافظ على وحدتها العضوية .

كما تمثل التجديد في شعر الشابي في صور الإبداع الموسيقي التي تجلت في استعماله لبحور شعرية معينة كالخفيف و الرمل ، و هذا نظرا لطبيعة النظام التفعيلي لهما و الذي يتفاعل و نفسيته و تجاربه الوجدانية ، فهذه البحور تجعل المقاطع الصوتية طويلة تارة و قصيرة تارة أخرى .

كما يمكننا أن نضيف هنا حالة الكسر و التسكين التي نجدها في الروي والتي لم تأت عشوائيا ولا عبثا و إنما جاءت لتأكد حقيقة التمرد و الانفعال عنده .

إن استخدام الشابي للرمز يدل على عمق ثقافته و تجاوبه مع المشاعر و النفس الإنسانية ، فالقارئ لشعره لا يدري أيقرأ قصيدة مسطورة أم منظرا من مناظر الوجود .

كان هذا بحثنا المتواضع الذي هدفنا في مجمله إلى تبيان مظاهر التجديد عند شاعرنا الراحل أبي القاسم الشابي .

رحمة الله عليه

المصادر

- أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة، قدم و شرحه الأستاذ أحمد بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 4

المراجع :

- أبو القاسم محمد كرو : الشابي حياته و شعره ، دار مكتبة الحياة، بيروت ـــ ط5 (د ت)
- أحمد فاضل : تاريخ عصور الأدب ، الموسوعات الأدبية ، دار الفكر اللبناني .
- أنس داوود : التجديد في شعر المهجر ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة .
- إبراهيم السمارائي : لغة الشعر بين جبلين ، دار الثقافة ، بيروت (د ط)، (د ت)
- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط5 ، 1981
- إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة ، ط3 ، 2010
- بوجمعة بوبعيو : النص الشعري بين التأهيل و التحليل ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ط1، 1981
- حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، أدب حديث ، دار الجيل ، بيروت ، 2005
- حنا الفاخوري : الموجز في تاريخ الأدب العربي و تاريخه ، المجلد الرابع
- خالد رشيد : لسان العرب ، دار صبح ،بيروت ، ط2، 2004
- خليفة محمد التليسي : الشابي و جبران، دار الثقافة ، بيروت ، ط3، 1974
- سميح أبو مقلي : العروض و القوافي ، دار البداية للنشر و التوزيع ، عمان ، ط1، 2009
- شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الدراسات الأدبية ، مصر ، ط6
- صبحي حموي : المنجد في اللغة العربية ، دار المشرق ، بيروت ، ط2،2001
- عبد السلام المسيدي : قراءات مع الشابي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د ط) ، (د ت)
- علاوة وهبي : التجريب في القصيدة العربية ، دار البعث ، الجزائر ، ط1، 1984
- عبد المجيد الحر: أعلام الفكر العربي ، أبو القائم الشابي ، دار الفكر العربي ، بيروت

- عمر فروخ : الشابي الشاعر الحب و الحياة ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط3، 1984
- محمد بوزواوي : معجم الأدباء و العلماء المعاصرين ، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر
- محمد علي كندي : الرمز و القناع في الشعر العربي الحديث.
- محمد مصايف : النقد التطبيقي و الموازنات ، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء
- محمد مصطفى هدارة : بحوث في الأدب العربي الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت
- محمد موزاوي: أدباء ، دار هومة ، الجزائر : ط2، 2001
- محمود المسعدي : الحياة الثقافية ، وزارة الشؤون الثقافية ، تونس ، عدد 34، 1984
- محمود الشيخ : الشعر و الشعراء ، دار اليازوري ، الأردن ، 2005
- نسيب نشاوي : المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1984
- هاني الخيّر : أبو القاسم الشابي ، شاعر الحياة و الخلود ، موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث ، دار فليتس للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط1
- وئام كاظم سميسم : عبد اللطيف السحرتي ناقدا ، مجلة اللغة العربية و آدابها ، العدد 7

الرسائل الجامعية :

- عزيز لعكاشي : مظاهر الإبداع الفني في شعر أي القاسم الشابي ، بحث مقدم لنييل شهادة الماجستير ، قسنطينة.